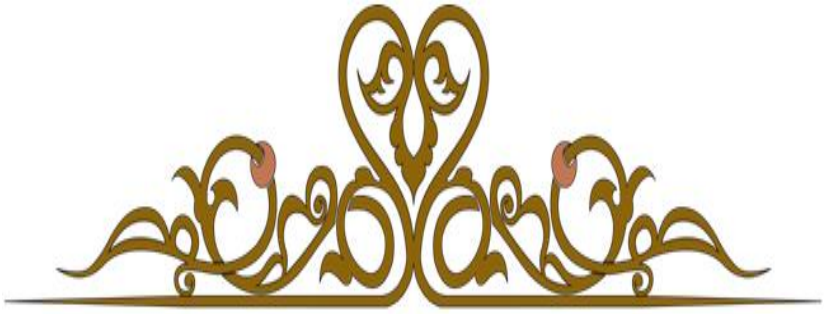

مرتكزات بِنْيَة التفكير

لدى محمد فريد وجدي

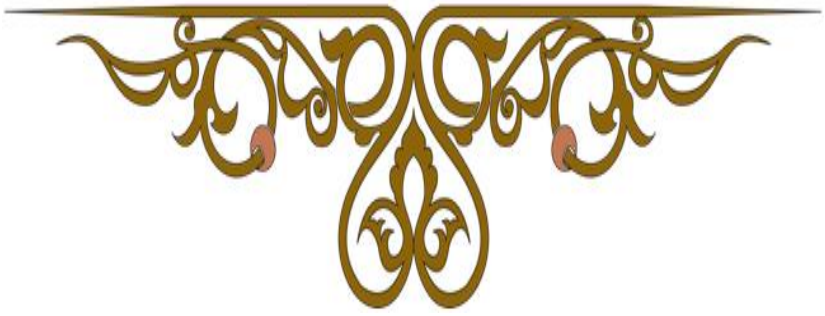

د/ محمود بطل محمد أحمد

المدرس بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

مرتكزات بنية التفكير لدى محمد فريد وجدي

محمود بطل محمد أحمد

قسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر

البريد الإلكتروني: Mahmoudahmed.13@azhar.edu.eg

ملخص:

حين كان الأستاذ محمد فريد وجدي واحدًا من أبرز مفكري القرن العشرين توجب البحث في مشروعه التجديدي، ولم يأت هذا البحث ليتناول قضية ما من القضايا الفكرية لديه، بل إنه تغيَّى التوصل إلى مرتكزات بنية التفكير لديه باعتبارها أصلًا لما تفرَّع عليها من نتاج، ومقدمات لما ترتب عليها من نتائج، وقد توصل هذا البحث إلى العديد من النتائج من أبرزها دور الملكات الذاتية لفريد وجدي باعتبارها اللبنة الأولى في تكوين بنيته التفكيرية،ومنها كذلك : محورية المنهج الإسلامي في إطلاق وتشكيل هذه البنية، هذا بالإضافة إلى المكون المعرفي العام، كما توصل البحث إلى مسارات الامتداد لهذه البنية الفكرية لوجدي كالمسار المفاهيمي، ومسار القدرة على التعاطي مع الإشكاليات، ومسار النظرة الكلية، تلك النظرة التي تتطلب ملكات عقلية ومكونات معرفية خاصة، وأخيرا وليس آخرا المسار النقدي، ذلك المسار الذي تتجذر العلاقة بينه وبين ماهية التجديد الفكري.

الكلمات المفتاحية: بنية التفكير، محمد فريد وجدي، النظرة الكلية، الإشكاليات، النقد

Thinking Structure for Mohammad Farid Wagdy Substrates of

Mahmoud Batal Mohammad Ahmed

Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Dawa,
Al-Azhar University, Cairo, Egypt

E-mail: Mahmoudahmed.13@azhar.edu.eg

Abstract:

When Mr. Mohamed Farid Wagdy was one of the most prominent thinkers of the twentieth century, he had to research his innovative project. The results of this research have reached many results, most notably the role of the self-queens of Farid Wajdi as the first building block in the formation of his thinking structure, including: Tracks only Tdad this intellectual structure Wajdi Kalmsar conceptual, And the ability to deal with problems, and the path of the overall view, a view that requires mental faculties and special cognitive components, and last but not least the critical path, a path that is rooted in the relationship between what is intellectual renewal.

Keywords: Thinking, Mohammad Farid Wagdy, general view, problematic, criticim

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،

وبعد،،،

فإن من السمات الفارقة بين الإنسان وغيره من المخلوقات قدرته على تسجيل الأحداث التي تكتنف مسيرته في الحياة.

إن هذه السمة قد أسهمت في تشكيل المخزون المعرفي للإنسانية، هذا المخزون الذي ظلّ يعتمل فيه الإنسان بأدواته التأملية ليتسنى له تحويله من حدث محصور في أطره الزمانية والمكانية إلى حدث مُفْعَمٍ بإثراء الحركة الحياتية في وعائها الحاضر، بل وفي وعائها المستقبلي.

إن هذا يعني أن كل نظرة في المخزون المعارفي للإنسانية إنما هي في حقيقتها شكلٌ من أشكال التعاطي مع تلك السمة الإنسانية، وبقدر تَبَصُّر هذه النظرة، وبقدر تمثُّلها لمقتضيات التأمل المنشود بقدر ما تتسع المُعطيات.

هذا، ولم تكن الأحداث التي تقاسمت التاريخ المعرفي للإنسانية على حال واحدة من التأثير، بل خضعت لسنة التفاوت المبثوثة في نظام هذا الكون، فكان منها الحادث العابر الذي لم يأخذ من ذاكرة التاريخ سوى ومضة خاطفة بينما كانت منها الحوادث العظام التي استتبعت تغييرًا هيكليًا في بنية هذا المخزون المعارفي.

ولا شكَّ أن ظهور الإسلام كان أهم تلك الحوادث العظام التي غيَّرت مجرى المعرفة الإنسانية، وأعادت الحيوية لمسار تفهم الإنسان لتراثه المُخَبَّأ، فأقبل أتباع هذا الدين يصلون ماضي الإنسانية بحاضرها، ويُوقظون العقل البشري المتجمد في دائرة الترديد الصوتي المجرَّد لهذا التراث، وينقلونه من تلك الحال إلى حال تظهر فيها خصائصه الكامنة من التأمل والتفكر والتدبر.

إن من أعظم تجليات هذا الدين صياغته للعقل الإنساني صياغة علمية تجعل الحقيقة وحدها غايته التي يتغياها، والحكمة وحدها ضالته التي

ينشدها، وتستثير فيه كافة الملكات من نظر، وتذكر، وتدبر، وتفكر، ونقد، وتحليل، وتركيب ...إلخ

ومع هذه الصياغة العقلية التي أنشأها الإسلام لأتباعه فإنه لم يُرد منهم أن يكونوا نُسَخًا مكررة في بِنَى التفكير، بل وضع لهم الأصول العامة والخطوط الرئيسة، ثم ترك لعقولهم السير في حالة الإبداع التي تُنتج اختلافًا في الفهم، وتعددا في أوجه الطرح مما ضمن سريان الإطار التجديدي عبر تاريخه الممتد.

وكما يتوجب علينا مطالعة الأصول العامة لبِنَى التفكير في مصادر الإسلام

باعتبارها حجر الزاوية في أي توجه عقلي يتوجب علينا كذلك مطالعة هذه البنى في تلك المحاولات التي سار عليها المجددون لهذا الدين، مع ضرورة الوعي بسياقاتها الزمانية والمكانية لتشكل هذه المحاولات في جملتها إطارًا تطبيقيًّا يعكس لنا واقعية المنهج العقلي لهذا الدين.

وحين كان العلَّامة محمد فريد وجدي واحدًا من أبرز مفكري القرن العشرين في العالم الإسلامي توجَّب علينا البحث في مشروعه الفكري.

إن فريد وجدي كان من الموقنين بعِظَم المعين الحضاري لهذا الدين، وأهليته الذاتية لإرجاع الأمة إلى مكانتها التي تبوأتها إبَّان انطلاقتها العظمى.

إن محمد فريد وجدي كان صاحب مشروع فكري بكل ما تعنيه الكلمة من معنى؛ فقد كان ذا غاية واضحة المعالم لا يخطؤها من يطالع آثاره، ثم صاحب منهج مُحْكَم للوصول إلى تحقيق تلك الغاية.

لقد أراد فريد وجدي أن يُقدِّم صورةً عامَّةً للإسلام تُوضِّح معالمه، وتُظهر خصائصه، وتُجَلِّي أسباب القوة فيه، تلك القوة التي سيطرت على مسالك الروح، ومنافذ العقل، وكوامن الوجدان.

ويأتي هذا البحث ليتناول بالدراسة هذه الشخصية الفريدة من حيث بنية التفكير، باعتبار هذه البنية أصلًا لما تفرَّع عليها من نتاج، ومقدمات لما ترتب عليها من نتائج ؛ لذا أتى هذا البحث تحت عنوان :

(مرتكزات بنية التفكير لدى محمد فريدوجدي)

مشكلة البحث

بالرغم من تراكم النتاج الفكري لمحمد فريد وجدي وتنوعه إلا أن هناك التباسًا بين ما ينضوي تحت مفردات بنية التفكير لديه وما ينضوي تحت إطار النتاج الفكري العام، وقد ساعد على هذا الالتباس طبيعة التآليف التي صنفها فريد وجدي؛ حيث إننا لا نجد فيها تصريحًا واضحًا بمعالم ببنيته التفكيرية ومرتكزاتها.

إن هذا يوجب تدقيق النظر في مشروع وجدي الفكري لمحاولة استنباط ركائز هذه البنية، كما يوجب في الوقت ذاته الحذر حتى يسلم الباحث فيها من الإفراط أو التفريط.

كما تبرز مشكلة البحث كذلك في التعاطي مع إشكالية العلاقة بين الفكرة المجردة والفكرة المجسدة، والتي تبرز دائماً في معالجة الشخصيات، فالفكرة تأخذ أصالتها وبكارتها من ناحية كلما كانت مستمدةً تلقائياً من النص المؤطِّر لها، لكن في الوقت ذاته تحتاج تلك الفكرة إلى مُعبِّر عنها، وصائغ لها، ومُوصل بين مقاصدها من ناحية ومعطيات الواقع المتجدد من ناحية أخرى، وهذا كله يجعل منها فكرة متجسدة، فلا شكَّ أن بِنَى التفكير مؤطِّرة في ثنايا الأصول الإسلامية من القرآن والسنة، لكن لا شك كذلك أن إبراز هذا التأصيل، ورسم الخطوط الرأسية والأفقية لإنزاله على الواقع الإنساني يحتاج إلى فهم متجدد، ومن هنا تأتي أهمية البحث في فكر المجددين واتجاهاتهم.

إن مكمن هذه الإشكالية أنه كما ينبغي أن تبقى الفكرة المجردة بعيدةً عن النظرات الشخصية الضيقة وتأثيرات المكان المحدودة يجب كذلك الوعي بما تجسَّد من تلك الفكرة، وقرآءته قرآءةً مستوعبةً؛ لأنه وعيٌ يشكل المخزون الحيوي لتلك الأفكار المجردة.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من تمهيد، ومطالب أربعة على النحو الآتي:

التمهيد : وبه نقطتان:

النقطة الأولى : بنية التفكير (المفهوم وأهمية التناول)

النقطة الثانية محمد فريد وجدي (سيرته، وعوامل تكوين بنيته التفكيرية)

المطلب الأول : المرتكز المفاهيمي

المطلب الثاني : مرتكز تبني النظرة الكلية

المطلب الثالث : مرتكز القدرة على التعاطي مع الإشكاليات

المطلب الرابع: المرتكز النقدي

المطلب الخامس: نظرة تقييمية عامة

التمهيد

النقطة الأولى: بنية التفكير (المفهوم وأهمية التناول)

أولا : مفهوم بنية التفكير

لا شكَّ أن المفاهيم المركبة تستوجب جهدًا كبيرًا في التوصل إلى المعنى التركيبي لأنه قد شهد تطورًا دلاليًّا لم يَعُدْ محصورًا من خلاله في مجرد الدلالة الأولية لكل من أجزائه التركيبية.

ومفهوم بنية التفكير واحدٌ من هذه المفاهيم المركبة تركيبًا إضافيًّا؛ لذا يتوجب علينا النظر أولًا في دلالة كل من المضاف والمضاف إليه، ليتضح المعنى التركيبي في صيغته المفاهيمية العامة.

معنى لفظ (بِنْيَة)

أما لفظ (بِنْيَة) فهو اسم هيئة " يُقَالُ بِنْيَةٌ، وَهِيَ مِثْلُ: رِشْوَةٍ ورِشاً، كأَنَّ البِنْيَةَ الْهَيْئَةُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا مِثْلَ المِشْيَة والرِّكْبَةِ." [1]

وعن الدلالة الأولية لأصل الكلمة **(بَنَى)** يقول ابن فارس: **(بني)** الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بِضَمِّ بعضه إلى بعض. تقول بنيتُ البناء أبنيه." [2]

إن الدلالة الأولية لمادة (بنى) تشير في مضمونها إلى معنيين متلازمين:

معنى التأليف بين أشياء عدة، وجعلها في نسق واحد.

1( ) لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم بن على أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، جـ ١٤ صـ٩٤، دار صادر ، بيروت، طـ٣ (١٤١٤ هـ)

2( ) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، جـ١صـ٣٠٣ ، ،دار الفكر (١٩٧٩م)

ومعنى الاستقرار في هذا الشيئ المُؤَلَّف؛ بحيث لا يَعْتَوِره كثير حركة واضطراب ؛ لذا لم يكن غريبًا أن يُشار إلى لزوم آخر الكلمة ضربًا واحدًا من السكون أو الحركة بالبناء.

" وكأنهم إنما سموه بناء؛ لأنه لمَّا لزم ضربًا واحدًا فلم يتغير تغير الإعراب، سُمِّيَ بناءً من حيث كان البناء لازمًا موضعًا لا يزول من مكان إلى غيره." [١]

إن هذا يعني أن البناء وإن كان في أصله قد استُعمل في الحسيات إلا أن معناه قد تعدى إلى المعنويات لوجود العلة الأصلية للدلالة وهي السكون والاستقرار للشيء، وعدم كونه في إطار المنقولات سريعة التغير.

وهذا المعنى يفيدنا في التعبير عن ذاك الإطار من التفكير الذي تكون له حالة من الرسوخ؛ إذ يضحي على شكل الأسس التي يقوم عليها هذا التفكير، والذي قد يتغير ما يتغير من شكل البناء أو محتوياته أما هذه الأسس فيضحي لها قدر من الثبات والاستقرار لينبني عليها غيرها.

وإذا جئنا إلى كلمة التفكير، فإنها تفعيل من (الفكر)، والدلالة اللغوية الأولية لكلمة (فكر) تشير إلى " إعمال الخاطر في الشيء...وقد فكَّر في الشيء ،وأفْكَرَ فيه، وتفَّكر بمعنى." [٢]

أما الدلالة الاصطلاحية فقد شهدت اختلافًا كبيرًا بين العلماء نظرًا لعدة أمور:

الأمر الأول : أن للفكر أكثر من منحى في الإطلاق أي له منحى عام وآخر خاص؛ لذا جاء في موسوعة (لالاند) الفرنسية تحت مصطلح (penses) (فكر)

" **بالمعنى الأوسع:** تشمل كل ظواهر العقل .ما هو شئ يفكر ؟ إنه شئ يرتاب، يعني يتصور، يقرر ،يريد ولا يريد ،ويتخيل أيضاً.

---

1) لسان العرب، ابن منظور جـ ١٤ صـ٩٤(مرجع سابق)

2) المرجع السابق، جـ ١٤ صـ٩٤

وبنحو عادي أكثر يقال عن كل الظواهر المعرفية في مقابل المشاعر والمشيئات.

وبالمعنى الأخص :يقال عن الإدراك والعقل من حيث إنهما يسمحان بفهم ما يشكل مادة المعرفة، من حيث إنهما يحققان درجة توليفية أرفع من الإدراك الصوري من الذاكرة أو الخائلة ." (١)

وقد صاغ المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية هذه النتيجة بعبارة أوضح فذكر أن الفكر يُطلق بوجهين:

"**بوجه عام** :جملة النشاط الذهني من تفكر وإرادة ووجدان وعاطفة، وهذا هو المعنى الذي قصده ديكارت بقوله : أنا أفكر أنا موجود.

بوجه خاص :وهو أحد أمرين:

(١) ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية (٢) أسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق." (٢)

الأمر الثاني: الاختلاف في تحديد العلاقة بين كل من الفكر وبعض من المفاهيم الأخرى كالنظر مثلا، **فالتفتازني** عرف كلاً من النظر والفكر بأنهما: ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول."(٣)

وقال أيضاً في تعريفهما : " والمشهور في تعريفيهما: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول نظري تصوري أو تصديقي." (١)

---

(1) موسوعة لالاند الفرنسية، تعريب :خليل أحمد خليل، جـ٢ صـ٩٥٥،منشورات عويدات بيروت، باريس (ط١)

(2) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية صـ.١٣٧،الهيئة العامة للمطابع الأميرية،القاهرة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٩٨م)

(3) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص جـ٣صـ٣٢ ،دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت، ط١(١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م)

لكن هل هذا يعني أنهما مترادفان ؟

يقول التفتازاني " اعلم أن النظر والفكر كالمترادفين؛ لأن بينهما تغايراً اعتبارياً بأن ملاحظة ما فيه الحركة معتبرة في النظر، وغير معتبرة في الفكر." (٢)

إن معنى ما سبق أن الفرق بين النظر والفكر إنما هو من حيث الاعتبار، فإن اعتبرنا في تحصيل المجهول الحركة كان نظراً، وإن لم نعتبرها كان فكراً.

ومن العلماء من جعل العلاقة بينهما العموم والخصوص المطلق، فذكر أن النظر أعم من الفكر، فعنده أن " النظر يكون فكراً، أو يكون بديهة، والفكر ما عدا البديهة." (٣)

الأمر الثالث : أن البعض ذهب إلى أن الفكر أضحى في الاصطلاح المعاصر من قبيل المشترك اللفظي، حيث اتحد لفظه وتعدد معناه

المعنى الأول : الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أي :النظر، والتأمل، والتدبر، والاستنباط، والحكم، وغير ذلك .

المعنى الثاني : المعقولات نفسها ،أي :الموضوعات التي أنتجها العقل البشري ،وبعضهم يُدخل في ذلك العواطف، والغرائز، والتخيلات الشعرية، فيجعلها أفكاراً، وآخرون يخرجونها من مسمى الفكر ." (٤)

تعقيب

---

(1) المرجع السابق جـ٣صـ٣٢

(2) المرجع السابق جـ٣صـ٣٢

(3) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، جـ ١صـ٧٥،مؤسسة النشر الإسلامي ط ١(١٤١٢هـ)

(4) حقيقة الفكر الإسلامي ،د:عبد الرحمن بن زيد الزنيدي صـ ١٠ بتصرف، دار المسلم ،ط٢ (١٤٢٢. ٢٠٠٢م)

إننا إزاء هذه التعريفات المتعددة للفكر الذي هو الاسم للتفكير ينبغي التنبيه على أمرين جوهريين وهما :

الأمر الأول : أن هناك معنى أوَّليا متفقًا عليه وهو أن الفكر عمل العقل وإن اختُلف في تحديد كُنه الموضوع الذي يُسمى عمل العقل فيه فكرا.

الأمر الثاني : أن الإطلاق الثاني للفكر . وهو إطلاقه على نتاج عمل العقل . لا يدخل معنا هنا في مفهوم (التفكير) لأن صيغة التفعيل تتنافى معه.

وخلاصة ما مضى أن مفهوم التفكير يعني مطلق عمل العقل أما تخصيصه بأنه إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها [1] فهذا تخصيص من غير مخصص، وحصر للعمل العقلي في نطاق المشكلات والإشكاليات.

وانطلاقا من تصورنا لجُزْئَي هذا المركب (بنية التفكير) والوعي بأن مفهوم البنية يشير إلى ضم شي إلى شيئ والتأليف بين أجزائه بحيث تضحي له حالة من الاستقرار ،وأن مفهوم التفكير يشير إلى عمل العقل في أي من المجالات التي يجول فيها، **فإن المفهوم العام لبنية التفكير** هو: ذاك النسق من عمل العقل الذي لرسوخه واستقراره أضحى بناء متكاملا ،**ومرتكزات هذه البنية** هي الأسس التي تقوم عليها هذه البنية.

ثانيا : أهمية تناول بِنَى التفكير

بالرغم من أهمية التأمل في نتاج الفكر الإنساني من ناحية مفرداته وقضاياه، فإن التأمل في بِنَى التفكير التي أنتجت هذه المفردات وتلك القضايا لا يقل أهمية بحال من الأحوال، وذلك لعدة أمور :

الأمر الأول : أن الوعي بِبِنَى التفكير مقدمة لا غنى عنها في الوعي بنتاج الفكر الإنساني الذي أنتجته هذه البنى؛ لذا فلا يمكن التعامل معها على أنها مجرد مفردة معرفية كباقي مفردات المعرفة، بل ينبغي التعامل معها على أنها أساس من أسس المعرفة الإنسانية.

1( ) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى،وآخرون جـ ٢صـ٦٩٨ ، دار الدعوة بدون.

الأمر الثاني : أن الوقوف على بِنَى التفكير وقوف على علة التنوع في الفكر الإنساني، هذا التنوع الذي ظهرت من خلاله المدارس، وتنوعت بسببه المذاهب والاتجاهات؛لذا فإن كل تأريخ للفكر الإنساني لا يؤتي ثماره ما لم يقف على حقيقة هذه البنى التفكيرية التي أنتجت اختلافا في الحقب الفكرية، لذا نرى مثلا برتراند رسل يُرجع ظهور الفسلفة الحديثة إلى تغير في بنية التفكير لدى مفكري الغرب في تلك الحقبة عما كان سائدًا قبلها في العصور الوسطى هذا التغير أنتج بالتبع تغيرًا في النتاج الفكري للفلسفة.(١)

وإذا جئنا إلى الفكر الإسلامي نجد أن مناهج التفكير تمثل عاملًا جوهريًّا في فهم طبيعة الاختلاف بين المدارس المختلفة حتى أضحى لدينا علم مناهج المفسرين، وعلم مناهج المحدثين، وحتى في علم الأصول تقاسمته طرق مختلفة،طريقة الجمهور وطريقة الحنفية، وطريقة ثالثة جمعت بين الطريقتين.

الأمر الثاني : أن الوقوف على بنى التفكير يجذر العلاقة بين الأفرع العلمية المختلفة لأنها بمثابة القاسم المشترك بينها، وليس معنى تجذير هذه العلاقة التنكر للخصوصية المعرفية التي تحملها هذه الأفرع، بل معناها انضمامها جميعا تحت هدف واحد وهو تحقيق الهداية لهذا الإنسان، ولو أخذنا الإمام التفتازاني(٢) مثالًا على ذلك لوجدنا أن المطالع لمؤلفاته يدرك أنها رغم تنوع مجالاتها المعرفية ما بين كلامية ومنطقية وأصولية وفقهية وبلاغية إلا أن

(1) انظر : تاريخ الفلسفة الغربية ،الكتاب الثالث ،الفلسفة الحديثة صـ٧، ترجمة: مُحَمَّد فتحي الشنيطي، ،الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٧م)

(2) هو : مسعود بن عمر التفتازاني الإمام الكبير، صاحب التصانيف المشهورة المعروف بسعد الدين،

ولد بتفتازان في صفر سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ، وفاق في النحو، والصرف، والمنطق، والمعاني، والبيان، والأصول، والتفسير، والكلام، وكثير من العلوم، من مؤلفاته: شرح التلخيص الكبير، ومختصره، شرح العقائد النسفية، والمقاصد،والتلويح ،وشرح الرسالة الشمسية، تُوفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.انظر :(البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني،جـ٢صـ ٣٠٣ دار المعرفة ، بيروت)

هناك بنية فكرية أقامت علاقات بين هذه الأفرع،ويكفي أن نطالع مثلا مؤلفاته البلاغية فسنجد أن فيها خصوصية معرفية تقتضيها طبيعة هذا الفرع المعرفي، لكنها تعكس في الوقت ذاته بنية فكرية متكاملة.

الأمر الثالث : أن هناك علاقةً متجذرةً بين كل من بِنَى التفكير وحركات التجديد في الفكر الإنساني،ولا نجد كلامًا في هذه النقطة أدق من كلام الفخر الرازي الذي بيَّن أن الإبداع الحقيقي الذي يُعطي للمفكر قيمة في تاريخ المعرفة الإنسانية إنما هو الإبداع في بِنَى التفكير ،وقد نَظَم الرازي ثلاثة من الأمثلة التاريخية المُدَلِّلة على صدق هذه القاعدة،في عِقد واحد فقال :

" واعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطاطاليس إلى علم المنطق، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض؛ وذلك أن الناس كانوا قبل أرسطاطاليس يستدلون ويعترضون بمجرد طباعهم السليمة، لكن ما كان عندهم قانون مُخلص في كيفية ترتيب الحدود والبراهين، فلا جرم كانت كلماتهم مُشَوَّشة ومضطربة، فإن مجرد الطبع إذا لم يستعن بالقانون الكلي قلَّما أفلح، فلما رأى أرسطاطاليس ذلك اعتزل عن الناس مدة مديدة، واستخرج لهم علم النطق، ووضع للخلق بسببه قانونًا كليًا يُرجع إليه في معرفة الحدود والبراهين.

وكذلك الشعراء كانوا قبل الخليل بن أحمد ينظُمون أشعارًا، وكان اعتمادهم على مجرد الطبع، فاستخرج الخليل علم العروض، وكان ذلك قانونًا كليًّا في مصالح الشعر ومفاسده، فكذلك هنا الناس كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه، ويستدلون ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلي يرجعون إليه في معرفة دلائل الشريعة وفي كيفية معارضتها وترجيحها، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه ووضع للخلق قانونا كليا يُرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع ." [1]

(1) مناقب الإمام الشافعي ،فخر الدين الرازي مُحَمَّد بن عمر بن الحسين،تحقيق.د: أحمد حجازي السقا صـ١٥٦ ،مكتبة الكليات الأزهرية،ط ١(١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م)

إننا لو ألقينا نظرة تحليلية على هذا الكلام لوجدناه يحوي في طياته العديد من الدلائل، وهي :

(١) أن الإبداع في بِنَى التفكير يمثل في أساسه استجابة لحاجة إنسانية معرفية، فحالة الإبداع في بنى التفكير لدى كل من أرسطو والخليل بن أحمد والشافعي وغيرهم ممن يجتمع معهم في نفس الإطار إنما نتجت استجابة للحاجة إلى الضبط المعرفي في مجال كل منهم.

(٢) أننا نلحظ أن الرازي قد انطلق من النظر في بنى التفكير الإنساني من رؤية موضوعية يذكر فيها أرسطاطليس مع الشافعي رغم اختلاف المنطلقات الفكرية لكل منهما، وهذا لا يعني إطلاقا عدم خضوع هذه البنى التفكيرية للمسار النقدي، بل يعني أن هناك قواسم إنسانية مشتركة تنبع أساسا من العطاء الإلهي لهذا الإنسان.

(٣) أن الرازي قد أشار إلى ركيزة أساسية من ركائز البنى التفكيرية وهي النظرة الكلية التي تُوصل إلى قانون كلي تنتظم تحته الجزئيات وسوف نتحدث عن الركيزة تفصيلا في معرض هذا البحث.

النقطة الثانية

محمد فريد وجدي (السيرة وعوامل التكوين)

أولا : التعريف بمحمد فريد وجدي[1]

ومولده : وُلِدَ محمد فريد وجدي سنة(١٨٧٨م)

نشأته: نشأ فريد وجدي في أسرة تركية الأصل تنتمي إلى الطبقة الوسطى، ويغلب عليها طابَع المحافظة، وكان أبوه من أوساط الموظَّفين، وتلقى فريد وجدي تعليمه الأول الذي فُتحت عيناه من خلاله على أبجديات المعرفة، وظلَّ ينتقل من مدرسةٍ إلى أخرى قاطعًا السنين الأربعة عشر الأُولى من عمره، فالتحق بدايةً بمدرسة(إسماعيل أفندي)، ثم مدرسة (حمزة قبطان)، ثم مدرسة المسيو (جالو).

ترك فريد وجدي مدينة الأسكندرية، وارتحل مع أسرته إلى القاهرة بعد أن نُقل والده للعمل بها، فالتحق بمدرسة التوفيقية التحضيرية (الثانوية)

لم يمكث فريد وجدي بالقاهرة سوى عامين؛ حيث انتقل مع أسرته إلى مدينة دمياط حين عُين أبوه وكيلًا لمحافِظِها.

ويبدو أن سُنَّة التنقل والترحال ظلت تلازمُ وجدي؛ إذ انتقل ثالثةً من دمياط إلى السويس، ومكث بها نحوًا من ستِّ سنوات بدأت في أوائل سنة (١٨٩٩م)،وانتهت بانتقاله إلى القاهرة في أبريل (١٩٠٥م)

---

(1) تم الرجوع في هذه الترجمة إلى المراجع التالية: **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ، جـ٦ صـ ٣٢٩ ،دار العلم للملايين ، ط١٥ (٢٠٠٢م) ، **مُحَمَّد فريد وجدي رائد التوفيق بين الدين والعلم** ،أنور الجندي ،مطابع الهيئة العامة للكتاب (١٩٧٣م) ، **مُحَمَّد فريد وجدي، حياته وآثاره**،مُحَمَّد طه الحاجري، معهد البحوث والدراسات العربية (بدون)، **مُحَمَّد فريد وجدي الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي** د : مُحَمَّد رجب البيومي، دار القلم، دمشق ط١(٢٠٠٣م) ، تقديم معتز شكري لكتاب **المدنية والإسلام لمحمد فريد وجدي** ،دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ،ضمن سلسلة (في الفكر النهضوي الإسلامي) ،مكتبة الأسكندرية (٢٠١٢م)

سيطرت الصحافة على مسيرة فريد وجدي، فكانت له ثلاث مجلَّات من إنشائه، أُولاها مجلةُ الحياة، ثم مجلة الدستور، ثم مجلة الوَجْديات، وتوَّج تلك المسيرة برئاسته لتحرير مجلة الأزهر، والتي كانت تُسَمَّى في بدايتها بمجلة (نور الإسلام)، وكان وجدي إذ ذاك في سن الخامسة والخمسين، وكانت رئاسةُ تلك المجلة فرصةً كبيرة لنشر رؤيته الإصلاحية، وبسط مشروعه الفكري، فأعاد وجدي هيكلة هذه المجلة، وطوَّر من بنيتها الفكرية، وفتح لها آفاقًا جديدة من المعرفة مما جعلها في موضع لائق بين بقية المجلات.

وبعد حياةٍ حافلةٍ بالنشاط العلمي بحثًا وتأليفًا تُوفِّي الأستاذ محمد فريد وجدي بالقاهرة عام (١٣٧٣ هـ. ١٩٥٤ م)

مؤلفاته

ترك فريد وجدي ثروةً علميةً هائلة، ومن مؤلفاته المطبوعة ما يلي:

- الفلسفة الحقة في بدائع الأكوان (١٣١٣هـ . ١٨٩٦م) مطبعة عبد الرازق
- تطبيق الديانة الإسلامية على النواميس المدنية)، (١٣١٦هـ . ١٨٩٩م)، وقد غُيِّر الاسم إلى (المدنية والإسلام)
- الحديقة الفكرية في إثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية (١٣١٨هـ . ١٩٠١م)
- الرد على هانوتو (١٣١٨هـ)
- المرأة المسلمة (طُبع عِدَّةَ مرات، كان أولها عام (١٣١٩هـ. ١٩٠٢م)
- الإسلام في عصر العلم (١٣٢٠ هـ. ١٩٠٣م)
- كنز العلوم واللغة (١٣٢٢هـ. ١٩٠٥م)
- صفوة العرفان في تفسير القرآن ومقدمة (وقد طُبِعَ بعد ذلك تحت اسم المصحف المفسر، وطُبِعت المقدمة مستقلة)
- اللورد كرومر والإسلام (١٩٠٧م)
- رسالة : سفير الإسلام إلى سائر الأقوام (١٣٢٣هـ. ١٩٠٧م)

- دائرة معارف القرن الرابع عشر والعشرين الميلادي (عشرة أجزاء) (١٩١٠م)
- الوجْديات، وهي مجموعة من المقالات الخيالية في سبيل الدين واللغة
- مجموعة الرسائل الفلسفية
- كتاب المعلمين (منهج الدراسة لوزارة المعارف) (١٣٣٥هـ . ١٩١٨م)
- على أطلال المذهب المادي (ثلاثة أجزاء (١٩٢١م)
- دستور التغذي (١٩٢١م)
- الإسلام دين عام خالد (١٩٣٢م)، وقد طُبِعَ أيضًا باسم (الإسلام دين الهداية والإصلاح)
- الأدلة العلمية في جواز ترجمة القرآن الكريم (١٩٣٦م)
- السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة (مقالات جُمعت وطُبعت بالدار المصرية اللبنانية (١٩٩٣م)
- مناقشات وردود (مقالات جُمعت وطُبعت بالدار المصرية اللبنانية (١٩٩٤م)
- فصول من سيرة الرسول(مقالات جُمعت وطُبعت بالدار المصرية اللبنانية (١٩٩٧م)
- الإسلام وتحرير الفكر الإنساني (مقالات جُمعت وطُبعت بالدار المصرية اللبنانية (٢٠٠٦م)
- المستقبل للإسلام (طُبع بمطبعة دار الكتب العربي ببيروت)
- نقد كتاب الشعر الجاهلي (طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين عام (١٩٢٦) ثم طبع طبعات متواليات بمكتبة الآداب [1]

ثانيا : مكونات بنية التفكير لدى فريد وجدي

(أ) المكونات الذاتية

(1) انظر: مُحَمَّد فريد وجدي، رائد التوفيق بين الدين والعلم ،أنور الجندي صـ ٨٨، ٨٩، ٩٠ (مرجع سابق)

من السمات التي طبعت شخصية فريد وجدي، وأثَّرت بالتالي على بنية تفكيره ميله إلى الجلوس كثيرًا مع الذات، ولم تكن هذه السمة خاصة بمرحلة نشأته حتى نقول إنها محدد بيئي، بل لازمته حتى بعد أن صار واحدًا من أبرز كتاب القرن العشرين في العالم العربي، فقد " كان الرجل . فيما يبدو . عزوفًا عن أن يشغل الناس بشخصه، منصرفًا إلى ما توفر عليه ورآه غايته الكبرى من الدعوة إلى الإصلاح الديني ،وتحقيق مقومات الشخصية الإسلامية في الصورة التي يؤمن بها." (١)

لقد كانت هذه السمة واضحة في شخصية فريد وجدي حتى وصفه أنور الجندي بأنه : " مفكر فيسلسوف باحث متجرد لفكرة عاش لها حياته كلها وما أطولها بعيدًا عن مجالات الشهرة والتألق وإحداث الدَوِيّ كأنما هو زاهد لا يتطلع إلى شيئ في الحياة غير أمر واحد هو أن يقول كلمته ،إنه من النماذج القلائل التي تظهر في تاريخ الفكر الإنساني بين آن وآخر لتكون مهيأة بالعقل والعلم والقلم لأداء دور كبير." (٢)

إن القدرة على التأمل الذاتي يربي ملكة من أهم الملكات الفكرية وهي القدرة على التعاطي مع الإشكاليات والأزمات كما قال (باسكال) (٣): كل مشاكل الإنسان تنبع من عدم قدرته على الجلوس بمفرده في حجرة يكتنفها الهدوء لفترة زمنية." (٤)

) مُحَّد فريد وجدي ،حياته وآثاره ،مُحَّد طه الحاجري صـ ١٣(مرجع سابق)1(

) مُحَّد فريد وجدي رائد التوفيق بين الدين والعلم،أنور الجندي صـ٥٤2(

(3) باسكال، بليز (١٦٢٣م ـ١٦٦٢م) رياضي وفيلسوف وكاتب فرنسي، وضع مبدأ تعادل السوائل، وأسَّس نظرية الاحتمال، صنع عام(١٦٤٢م) أول آلة لجمع الأعداد (معجم أعلام المورد، منير البعلبكي صـ ٣٥٣،دار العلم للملايين. بيروت (١٩٩٢م)

(4) مائة طريقة لتحفيز نفسك . ستيفن تشاندلر، صـ ٦٠،ترجمة ونشر مكتبة جرير. الرياض (٢٠٠٣م)

ولم تكن الخصائص النفسية لفريد وجدي هي المُشَكِّلُ الذاتي الوحيد لبنية التفكير لديه، بل كانت ملكاته العقلية واستعدادته الذهنية مُشَكِّلًا لا يمكن إغفاله لهذه البنية؛ حتى فتح له ذلك آفاقًا من التواصل المعرفي الذي يحجبه في كثير من الأحيان ضيق الأفق ونضوب المعين الفكري.

يقول العقاد : " وأظن اليوم أن فرط الثقة بقوة الحجة والقدرة على الإقناع هو الذي كان يُسَوِّغُ له أن يسمع كل رأي، ويقبل كل تحدّ، ويجيب عن كل سؤآل. ودام عملي في صحيفة الدستور من عددها الأول إلى عددها الأخير، فأكاد أقول إن ما خالفته فيه أثناء هذه المرة أكثر مما وافقته عليه، ولكنه لم يغير كلمة واحدة كتبتُها لمخالفة رأيه ." (١)

(ب) المكون الديني

بالرغم من دور الملكات الذاتية لفريد وجدي في بنيته التفكيرية إلا أن العامل الديني كان حجر الزاوية في هذه البنية؛ حيث كان مُنطلِقًا من إيمان متجذر بأن الإسلام يمتلك منهجًا فكريًّا متكاملًا سواء في استثارته لكافة الملكات العقلية للإنسان، أو في وضعه المنهج الأمثل لتوظيف هذه الملكات مما جعل من مقدمه إنقاذًا للعقل الإنساني

" لم يدَع الإسلامُ هدفًا من أهداف النظر، ولا موضعًا من مواضع الاستبصار، ولا عاملًا مما يُوقِظ غريزة التأمل، ويُنبِّه خاصَّةَ التفهم، إلا دعا إليها واستنهض الهمم للتنافس فيها." (٢)

(1) حياة قلم، عباس محمود العقاد صـ٣٠، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (بدون)

(2) الروح الإسلامية وأثرها في النفس الإنسانية ،محمد فريد وجدي، مجلة الأزهر، المجلد السابع جـ٨ صـ ٦٠١

ولو أردنا معرفة الأثر الذي يُحدثه الإسلام في منهجية التفكير فإن فريد وجدي الذي تضلع من المنهج الإسلامي يكشف لنا عن هذا الأثر، فبعد أن أورد بعضًا من الآيات التي تحث على النظر والتفكر في القرآن وجدناه يقول :

" فهذا ومئاتٌ من أمثاله في الكتاب الكريم يُوقِظ في النفس غريزة النظر فيما بين يديها وما خلفها، ويُثير فيها رغبةً مُلِحةً لكشف المساتير واستجلاء غوامض الخليقة، فتجد فيها مادة العقل غذاءً لها يبلغها غاية ما تصل إليه من قوة التحليل والتركيب للمعقولات، فلا تُؤخذ بظاهر خلَّاب، ولا عَرَض فاتن، فإذا أرادت الحُكْم على الأشياء ردَّها عن الانخداع بالظواهر ما تمرَّست به من النفوذ إلى السرائر، والغوص لاستخراج الحقائق." [١]

لقد كان فريد وجدي على وعي دائماً بِعِظَمِ القوة الذاتية لهذا الدين، وأنها هي التي حفظت له بقاءه أمام كل الأديان والثقافات التي قابلها

" لقد دلَّ الإسلام على مناعة لا تُرام في جميع أدوار تاريخه، فاحتكَّ بالأديان التي سبقته، وقد كان يتولاها رجال بلغوا من الثقافة العلمية ما لم يكن له ظِلٌّ في البيئة التي ظهر فيها الإسلام، ومرنوا على الجدل مرانًا طويل الامد في مجادلة الخصوم، ومجالدة المبتدعة، فلو لم يكن في الإسلام من عناصر الغلب إلا ما تسمح به الأمية التي كانت عليها الأمة العربية، والجاهلية التي كانت ضاربة بجرانها [٢] فيهم لظهر ضعفه من أول مصادمة، ولما اجتذب من

(1) محمد فريد وجدي رائد التوفيق بين الدين والعلم،أنور الجندي صـ١١

(2) أي مستقرة فيهم، كما أن البعير إذا برك واستراح مد جرانه على الأرض أي عنقه (لسان العرب ،ابن منظور جـ ١٣صـ٨٦)

صميم الديانات التي كانت عليها الأمم المتمدنة إذ ذاك رجالًا كانوا في الذؤآبة من ذويهم ." [١]

(جـ) المكون المعرفي العام

نقصد بالمكون المعرفي العام تلك المعارف الإنسانية العامة التي كان فريد وجدي مطلعًا على جملة كبيرة منها.

نعم، كان للاطلاع على الثقافات الأخرى، والإلمام بأحدث ما قاله أساطينها، وإيراد الكثير منه أثناء العرض الفكري ميزة ظاهرة من ميزات فريد وجدي. ومن يطالع ما سطره يجد أسماء العديد من علماء الغرب[٢] ،ويجد العديد من المراجع الغربية خاصَّة دوائر المعارف والموسوعات العلمية حتى قال الأستاذ أنور الجندي تعليقا على ذلك:

" وكان حفيًّا بكل ما يُكتب في باب الروحيات والدين في الفكر الغربي كله. يشتري من الكتاب نسختين من باب الاحتياط،ويشتري كل طبعاته، ويراسل أعلام هذه الدراسات مؤمِنًا بإنسانية الفكر البشري في سبيل دعم الحضارة بالدين والتوفيق بين الدين والعلم." [٣]

وحين ألَّف مصنَّفه الشهير (كنز العلوم واللغة) أورد فيه قسطًا كبيرًا من المعارف العصرية التي راجع فيها دواوين العلم في عصره، والتي كان أغلبها غربيًا، لذا فقد كانت خريطة هذا الكتاب مشتملةً على ما يلي :

العلوم الدينية . العلوم العربية . العلوم العصرية . العلوم الجغرافية . العمرانية الطبية، التاريخية [٤]

---

(1) من معالم الإسلام،مُحَمَّد فريد وجدي، دراسة وتقديم: مُحَمَّد رجب البيومي صـ ٦١، مهرجان القرآءة للجميع، مكتبة الأسرة (٢٠٠٠ م)

(2) كبيكون، وكونت ورينان، وسيمون، وكوندرسيه، وغيرهم.

(3) مُحَمَّد فريد وجدي رائد التوفيق بين الدين والعلم،أنور الجندي صـ١١

(4) كنز العلوم واللغة، مُحَمَّد فريد وجدي صـ٤، مطبعة الواعظ بمصر (١٩٠٥م)

ولا يمكننا الحديث عن الموسوعية في الاطلاع والتكوين المعرفي لفريد وجدي دون التعريج على مؤلفه الضخم دائرة معارف القرن العشرين هذا المؤلف الذي يشير إلى ملكات نفسية وعقلية وعلمية عظيمة لهذا المفكر. [1]

ورغم أن انطلاقة فريد وجدي المعرفية كانت منبثقة في الأساس من وعيه بطبيعة النظرة الإسلامية للمعرفة إلا أنه كان هناك عوامل أخرى أسهمت في إثراء هذه المعرفة وهي :

الأول : تعدد أوعيته اللغوية؛إذ كان يجيد أكثرَ من لغة (العربية . التركية . الفرنسية .الإنجليزية)، ولا شكَّ أنَّ اللسان وعاء ثقافي فكلما تعدد اللسان تعدد معه الوعاء.

الثاني : المكتبة العامرة التي كان يحوزها والده إذ كان له مكتبةٌ ضخمة تضم الكثير من المراجع التي تنوَّعت لغاتها ما بين عربية وتركية وفرنسية، وتنوَّعت موضوعاتها ما بين الدين والأدب والفن.

الثالث : البيئة المعرفية التي نشأ فيها وهي مدينة الأسكندرية حيث " كانت الإسكندرية في هذه الفترة مركز نشاط أدبي خصب بما كان يصدر فيها وما كان يَرِد إليها من صحف ومجلات مختلفة عربية وفرنسية، وأكبر الظن أن صبينا أقبل عليها قدر ما كانت تُمكِّنه تلك الأداة اللغوية التي كانت ما تزال تطوع له كلما ازداد إقباله على القرآءة، كما كان إقباله هذا يزداد كلما ازدادت هذه الأداة طواعية واستجابة، ولو أُتيح لنا أن نعرف شيئا عن مطالعاته هذه

(1) يقول الدكتور رجب البيومي عن هذه الموسوعة العلمية :"قد ظلت الحاجة ماسة إلى دائرة معارف القرن العشرين، فطبعت للمرة التالية (١٩٧١م) بدار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت، وقد ظهر في الثلاثينيات وما بعدها من هذا القرن ترجمة عربية لدائرة المعارف الإسلامية التي كتبها أساتذة الاستشراق، قام بها نخبة من شباب كلية الآداب المصرية، فلم تستطع الموسوعة الأوربية أن تحجب بريق الموسوعة الوجدية؛ إذ إن أكثر من كتبوا بها من المستشرقين قد صدروا عن أوهامهم الخاصة بالإسلام ." مُحَمَّد فريد وجدي،الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي ،د: مُحَمَّد رجب البيومي صـ ١٢٥(مرجع سابق)

المبكرة لكان ذلك كبير الجدوى في معرفة الينابيع الأولى لاتجاهاته العلمية والأدبية وتتبع أصول شخصيته العقلية ." [١]

بعد استعراض الشغف الذي كان لدى فريد وجدي بمطالعة المعارف الإنسانية العامة بقي أن نذكر أنه لم يكن يطلع عليها دون منهج يميز به صحيحها من فاسدها؛ لذا رأيناه يقول :

" نحن لا يسوغ لنا أن نأخذ شيئًا من أشياء تلك المدنية إلا بقدر تحليله تحليلًا دقيقًا جدًا، ويجب علينا حينما نقف أمام مرائيها الفتَّانة أن نمسح أعيننا بمنديل الحِكَمِ لنقدر على تمييز الحَسَنِ من القبيح فيها ." [٢]

ويقرر هذا الأمر في مقدمة كتابه صفوة العرفان قائلًا: " كثيرًا ما نستشهد في هذه المقدمة بأقوال بعض العلماء الأجانب لا اعتزازًا بهم، أو إطراءً لآرائهم، أو اتخاذًا لهم أعلامًا للدين ،بل غرضنا أن يكون كلامنا أبلغ في الحجة، وألصق بمقاتل الخصم المعاند ." [٣]

إن معنى ما مضى أن البنية التفكيرية لفريد وجدي قد تشكلت من عوامل متعددة لعبت فيها كل من الملكات الذاتية والاطلاع المعرفي العام دورًا كبيرًا، بينما كان المنهج الإسلامي في النظر والتفكير حجر الزاوية في تشكيل هذه البنية.

) محمد فريد وجدي ،حياته وآثاره،محمد طه الحاجري ص 123(

(2) المرأة المسلمة،محمد فريد وجدي ص ٥٧ ،مكتبة أضواء السلف، ط١(١٩٩٩م)

(3) صفوة العرفان في تفسير القرآن،ص١٢٥، مطبعة الشعب(١٣٢١هـ)

المطلب الأول : المرتكز المفاهيمي

مع أن المفاهيم في حد ذاتها تُعتبر مفردةً من مفردات النتاج الفكري الإنساني إلا أنها تمثل المفردة الأكثر أهمية في بنيوية هذا النتاج؛ وذلك للأمور التالية :

الأمر الأول : أنها تُعطي دلالة شمولية للنتاج الفكري الإنساني، وهذه الدلالة لا غنى عنها في الوقوف على هذا النتاج، وسبر أغواره، والتوصل إلى ما يمثل منها قواسم معرفية عامة، وما يندرج منها تحت إطار من الخصوصية الدينية أو الحضارية .

إن هذه الدلالة الشمولية كذلك تضمن انضباط الإطار الحواري بين السياقات المعرفية المختلفة وعدم استهلاكه في مفردات منفصلة عن إطارها الكلي.

ذلك لأن "المفهوم يمثل خلاصة الأفكار والنظريات والفلسفات المعرفية، وأحيانًا نتائج خبرات وتجارب العمل فيه وفي النسق المعرفي الذي يعود إليه وينتمي إلى بنائه الفكري ." [١]

إن هذا يعني أن " المفاهيم ليست ألفاظا كسائر الألفاظ، وما هي مجرد أسماء أو كلمات يمكن أن تُفهم وتُفَسَّر بمرادافاتها أو بما يقرب في المعنى إليها، بل هي مستودعات كبرى للمعاني والدلالات كثيرًا ما تتجاوز البناء اللفظي، وتتخطى الجذر اللغوي لتعكس كوامن فلسفة الأمة، ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها، وما استنبطته ذاكرتها المعرفية ." [٢]

1(نحو منهجية معرفية قرآنية،محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة،د:طه جابر العلواني، صـ١٢٣، دار الهادي،ط١(١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)

2(المرجع السابق صـ١٢٤

الأمر الثاني : أن المفاهيم تمثل الخطوة الأولى لاستيعاب أيٍّ من الحقول المعرفية؛ لأن من أسباب التطور المفاهيمي واختلاف الدلالات في بنيته تنوع الحقول المعرفية، هذا التنوع الذي ازداد مع ازدياد الحركة الفكرية للإنسان، فشهدت المعارف حالة من حالات التفريع الذي أنتج طائفةً كبيرة من هذه المعارف متفاوتةً في درجة التداخل والتباين.

انطلاقًا من هذا فإن " تحليل المفاهيم الأساسية لأي فرع أو حقل معرفي يُعتبر المدخل الأول لتفكيك ذلك الفرع أو الحقل بشكل يسمح تشخيصه، وتحديد وضعيته، ومعرفة مبادئه ومداخله ." [١][٢]

الأمر الثالث : أن إدراك المفاهيم ركن أساسي من إدراك بنية التفكير؛ حيث " لا يكفي لإدراك كيفية أداء العقل المسلم أن ندرك إطار هذا العقل ومنهجيته فقط ولا المنطلقات التي يرتكز عليها، بل لا بد لنا من معرفة المفاهيم التي يعمل هذا العقل وهذه المنهجية على أساسها، ويتحرك بها، ويمثل جانبه العملي والتطبيقي " [٣]

الأمر الرابع : أن المفاهيم تمثل في كل أمة من الأمم معيارًا للتكامل أو الانحسار المعرفي؛ حيث إن "الأمم العريقة التي تكامل فكرها لا تكون عادة

---

1) المرجع السابق صـ١٢٣

2) لهذا برزت المعاجم المتخصصة في أفرع العلوم المختلفة كالمعاجم الفقهية، والمعاجم الأصولية، والمعاجم الفلسفية وغيرها؛ لتكون هذه المعاجم مدخلًا لا غنى عنه في الإلمام بمفاتيح هذا العلم من جهة، ورصد التطور المعرفي له من جهة أخرى .

3) أزمة العقل المسلم،د:عبد الحميد أحمد أبو سليمان صـ١٤٩

في حاجة إلى مفاهيم وافدة، فإن نظرتْ فيها فمن أجل أن تعرف أسلوبها وأهدافها." [١]

إن معنى هذا أن الأمم جميعًا قد تشهد اتساعًا مستمرًا في دائرة المصطلحات وإدخالها في مكوناتها المعرفية، أما التجدد في المفاهيم فيخضع لدرجة التكامل الحضاري لدى الأمم، فالأمة ذات التكامل الحضاري تكون على درجة كبيرة من الاستقرار المفاهيمي.

الأمر الخامس : أن كل إشكالية في المفهوم ترتد تباعًا على مفردات البنية الفكرية، فإذا اتسمت المفاهيم بسمة تحديدية انعكس ذلك على بنية التفكير ،وإذا افقدت هذه المفاهيم هذه السمة تخلخت بنية التفكير.

" اللغة سبيل الانضباط أو الانحراف في الفكر، ومتى تعددت المفاهيم عن طريق الدلالات اللغوية أو الدلالات الفكرية ودلالات الممارسة انحرف التفكير ولم يستقم وانحرف تبعا لذلك السلوك والممارسة ." [٢]

وإذا أتينا إلى الفكر الإسلامي سنجد أن تحديد المفاهيم كان إحدى أبرز المسارات التجديدية لهذا الفكر " الفكر الإسلامي بخاصة مدين لنضجه في العصور الوسطى وقبل عصر النهضة الأوربية وأثنائها لمنهجية التفكير والبحث عن الحقيقة، وكان في مقدمة المنهجية التي سلكها المفكرون المسلمون تحديد المفاهيم بالمنطق وإغناؤها بالعلم وإخراجها من الضبابية بالمعرفة ." [٣]

) أزمة المفاهيم وانحراف التفكير ،عبد الكريم غلاب صـ٦ ،مركز دراسات الوحدة العربية ،سلسلة الثقافة 1(القومية (٣٣) بيروت ط ١(١٩٩٨م)

)المرجع السابق صـ١٠ 2(

) المرجع السابق صـ 38(

مسارات البناء المفاهيمي لدى فريد وجدي

حين كانت المفاهيم تمثل كل هذه المناحي، وتستبع كل هذا التأثير أضحت اللبنة الأولى في بنية التفكير لدى محمد فريدوجدي؛ حيث كان لها كل من الحضورين الذهني والخارجي في ثنايا مشروعه الفكري،ويمكن استجلاء المسار المفاهيمي في بنية التفكير لدى فريد وجدي من خلال النقاط التالية :

النقطة الأولى : آلية التسآؤل واستكناه المفهوم

إن أول خطوة في البناء المفاهيمي لدى فريد وجدي هي طرح المزيد من الأسئلة حولها تلك، الأسئلة التي تُشكِّل استثارة للملكات العقلية والمعرفية لتبدأ بعدها رحلة البحث عن استكناه أبعادها.

لقد ابتدأ وجدي مع مفهوم الإنسان بالتسآؤل فقال :" ما هو الإنسان ؟ هل هو ذلك الجسم المادي الذي يتناوله التحليل والترتيب فينمو ويقوى ثم لمَّا يدركه الضعف والهرم يموت ويدفن فيستحيل إلى تراب تدوسه الأقدام؟

إن كان كذلك فليس هذا الإ حيوانًا بسيطًا يَفْضُلُه الأسد بقوته، والفيل بِعِظَمِ جثته، والقردُ بِعَدْوِه وسرعة حركته، ولَمَا كان له من الأهمية في هذا الوجود ما يدلنا عليه ماضيه وحاضره ."(١)

وكان طرح التسآؤلات حول مفهوم المرأة هو الخطوة الأولى كذلك للتعرف على هذا المفهوم :

" ما هي المرأة ؟

المرأة كائن شريف، خصصتها القدرة الإلهية لتكثير النوع الإنساني، فوظيفتها من هذه الحيثية سامية جدًا، ولا يستطيع أن يجاريها الرجل فيها بوجه من الوجوه ." (٢)

(1) المدنية والإسلام ،محمد فريد وجدي صـ١٣(مرجع سابق)

(2) المرجع السابق صـ ١٥

ورغم أن هذا المفهوم للمرأة قد يبدو مفهومًا ضيقًا، لكن الشاهد هنا معنا اتخاذ فريد وجدي من التسآؤل آلية لاستكناه المفاهيم.

النقطة الثانية : خطورة الاختلاط المفاهيمي

أوضح فريد وجدي أن الخلل الحاصل من الاختلاط المفاهيمي يقيم الحواجز بين المفاهيم الكبرى في الحياة، ويعقد بينها في الذهن علاقة تناقضية بدلًا من العلاقة التكاملية ،فقال : " ما الذي أوجد هذه الهُوَّةَ السحيقة بين الدين والمدنية في نظر بعض الآخذين بمبادئ العصرية اليوم ؟

أوجدها خطأ جَلَلٌ تسرب إلى عقولهم ولم يفطِنوا إليه وهو أنهم خلطوا بين المدنية بمعناها الصحيح وبين ما أوجده أهل الإباحة من التعديات المنوعة على العلم والفلسفة والأخلاق الفاضلة تحت ظل الحرية الشخصية وألصقوه بالمدنية ." [1]

وأبرز فريد وجدي كذلك أن الانطلاق في الاستعمال المفاهيمي من نظرة شخصية بعيدة عما استقر عليه أرباب المعرفة يقيم كثيرًا من الخلط في النتائج؛ لذا فقد كان من أوجه مناقشاته مع الأستاذ خالد محمد خالد التأكيد على هذه النقطة

" ولكن الأستاذ خالد يفهم من الروحانية شيئًا غير العقيدة وهو السلام والإخاء والمحبة التي يفيضها على الإنسان تَيَسُّر العيش، وهدوء النفس، وما يحيط به من أمن وطمأنينة على النحو الذي تكون عليه الحال في الجماعات النشِطة الحرة، وهو فهم لم يُسبق إليه ،ولن ينازعه أحد فيه لا لأنه صادف محله، ولكن لأن المقام لا يسمح بإضاعة الوقت في الصغريات اللفظية ." [2]

---

1) مهمة الإسلام في العالم،محمد فريد وجدي، تقديم :د: محمد رجب البيومي، صـ ٢٣٧، دار البصائر(٢٠٠٦م)

2) اليس من هنا نبدأ، محمد فريد وجدي، مجلة الأزهر،المجلد الثاني والعشرون(١٩٥٠م) صـ ٢٩٢

النقطة الثالثة : إيضاح المناط الاستعمالي للمفهوم

من المناحي التحريرية للمفاهيم التي سلكها فريد وجدي في مشروعه الفكري إيضاح مناط الاستخدام لأيٍّ من المفاهيم، وهل هذا المناط هو مناط العموم أم الخصوص،مناط الإطلاق أم التقييد؛ لذا رأيناه حين وضع هذا العنوان(الدين قبل ظهور العلم) يبين مراده من مفهوم العلم في هذا السياق قائلًا:

" لا نريد من العلم مطلق ما يدل عليه اللفظ؛ لأنه لا يُتَصور أن يكون الإنسان قد عاش يومًا واحدًا بلا علم ولو على أبسط أحواله، وإنما نريد منه أخص معانيه وهو النظر في حوادث الوجود نظرا مجردًا عن الصبغة الدينية والبحث عن علاقاتها ببعضها، وبترتب على تلك العلاقات كيفية تستخدمها اليد في تحسين الحالة المعيشية، ويعتضد بها الفكر في سبحه في مواهي[1] المسائل العقلية." [2]

ويمضي المنحى التحديدي لدلالات استخدام المفاهيم عند فريد وجدي، فحين يتحدث عن مفهوم ما وراء المادة يقول : " أما عالم الأرواح أي العالم الذي وراء هذه المادة، ولا نريد بقولنا وراء هذه المادة أن له حيزا وراء هذا الحيز كلا، وإنما نريد بوراء المادة الوجود الذي هو أرقى من المادة والمتسلط عليها كتسلط الروح على الجسد ." [3]

) جمع ماهية ،.والماهية: " تطلق غالبًا على الأمر المتعقل، مثل المتعقل من الإنسان، وهو الحيوان الناطق مع 1(قطع النظر عن الوجود الخارجي. والأمر المتعقل، من حيث إنه مقول في جواب ما هو، يسمى: ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج، يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار، هُوية، ومن حيث حمل اللوازم له: ذاتًا، ومن حيث يُستنبط من اللفظ، مدلولًا، ومن حيث إنه محل الحوادث: جوهرًا (التعريفات،الجرجاني صـ١٩٥ علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١(١٤٠٣هـ –١٩٨٣م)

) الإسلام في عصر العلم،مُحَمَّد فريد وجدي، جـ١ صـ ٨٠ ،دار النهضة العربية (بدون) 2(

) المرجع السابق جـ٢ صـ ٧٧٩3(

وحين كان مفهوم (الروحيين) مفهومًا متعددًا في سياقاته الاستعمالية رأينا فريد وجدي يحدد مراده منه قائلًا: " ونريد بهم الذين يعتقدون بأن العالم مركب من عنصرين أحدهما مادي فانٍ، والآخر روحاني باق ." [١]

النقطة الرابعة : ملكة التفريق بين المفاهيم

من أكثر المناحي ضرورةً في البناء المفاهيمي القدرة على إيضاح الفروق بينها، تلك الفروق التي قد تكون واضحة جلية في حينٍ بينما تكون غامضة دقيقة في أحيان أخرى مما يتطلب ملكات خاصة في اكتشافها ومن ثمَّ بيانها؛ لذا رأينا هذه المفردة قد أخذت حيزًا من الخارطة التصنيفية لتراثنا الإسلامي.

لقد أضحت هناك العديد من المؤلفات[٢] التي تحمل هذا الاسم (الفروق)، وأخذ العلماء يقررون أهميتها في البناء الفكري حتى إن الإمام العسكري[٣] بعد أن ذكر بعضًا من المعاني التي تمس الحاجة إلى التفرقة بينها قال :" فإني ما رأيت في الفرق بين هذه المعاني وأشبهاها كتابًا يكفي الطالب، ويُقنع الراغب مع كثرة منافعه في ما يؤدي إلى المعرفة بوجوه الكلام والوقوف على حقائق معانيه والوصول إلى الفرض فيه." [٤]

1( ) الإسلام وتحرير الفكر الإنساني،بحوث ودراسات في الدين والحياة ،مُحَمَّد فريد وجدي،جمعها وراجعها وقدم لها :مُحَمَّد رجب البيومي صـ ٢٨،الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة ط١(٢٠٠٦م)

(2) من هذه المؤلفات مثلا :كتاب أنوار البروق في أنواء الفروق للإمام القرافي مُحَمَّد بن إدريس، وكتاب : الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري.

(3) هو : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العَسْكَري، أبو هلال من مؤلفاته: (التلخيص) و (جمهرة الأمثال) ، و (الصناعيتن: النظم والنثر) يُنظر : الأعلام للزركلي جـ٢صـ١٩٦(مرجع سابق)

(4) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: مُحَمَّد إبراهيم سليم،صـ٢١، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

وقال الإمام القرافي[1] في كتابه (أنوار البروق في أنواء الفروق) حين تحدث عن منهجه في إيراد القواعد الفقهية التي تنتظم تحتها الفروع: " وجعلتُ مبادئ المباحث في القواعد بذكر الفروق والسؤآل عنها بين فرعين أو قاعدتين؛ فإن وقع السؤآل عن الفرق بين الفرعين فبيانه بذكر قاعدة أو قاعدتين يحصل بهما الفرق.وهما المقصودتان، وذِكْرُ الفرق وسيلة لتحصيلهما، وإن وقع السؤآل عن الفرق بين القاعدتين فالمقصود تحقيقهما، ويكون تحقيقهما بالسؤآل عن الفرق بينهما أولى من تحقيقهما بغير ذلك، فإن ضمَّ القاعدة إلى ما يشاكلها في الظاهر ويضادها في الباطن أولى؛ لأن الضد يُظْهِر حسنة الضد، وبضدها تتميز الأشياء ." [2]

بل رأينا القرافي يبين لنا إلى أي مدى كان ولعه بتتبع الفروق واستيضاحها فيقول عن سر ابتدائه كتابه بالحديث عن (الفرق الأول بين الشهادة والرواية) :

" ابتدأت بهذا الفرق بين هاتين القاعدتين لأني أقمت أطلبه نحو ثمان سنين فلم أظفر به، وأسأل الفضلاء عن الفرق بينهما وتحقيق ماهية كل واحدة منهما." [3]

لذا رأينا هذه الملكة حاضرة وبقوة في البناء المفاهيمي لدى فريد وجدي فرأيناه مثلًا يفرق بين الفلسفة والعلم تفريقًا دقيقًا فيقول : " المذهب المادي فلسفة لا

(1) هو : مُحَمَّد بن إدريس المشهور بالقرافي، الشيخ الإمام العالم الفقيه الأصولي شهاب الدين الصنهاجي الأصل، صنَّف في أصول الفقه الكتب المفيدة، وأفاد، واستفاد منه الفقهاء.(الوافي بالوفيات، ،صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى جـ٦ص١٤٧، دار إحياء التراث – بيروت(١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)

(2) أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي ،جـ١ص٣ دار عالم الكتب بدون.

(3) المرجع السابق جـ ١ص٤

علم، وفرق كبير بينهما، فالعلم يزود بوسائله مجاهيل هذا الوجود الضخم، ويُدَوِّن العلاقات الموجودة بين ظواهره منها، ويضم الأشياء إلى نظائرها ثم يبذل وسعه ليجد النواميس العاملة في كل طائفة منها، وهو يحلل المواد لتعرف عناصرها الأولية، ولكنه يعترف بأن ما يسميه عناصر أولية قد تكون مركبة من عناصر أدق منها لم تمكنه ذرائعه الناقصة من العثور عليها ." [١]

ويزيد فريد وجدي الأمر وضوحا فيكشف ان للعلم شرطين هما التحليل والتركيب، وركنين هما المشاهدة والتجربة ،أما الفلسفة فهي جهاد من العقل وراء إدراك الحقيقة الكلية للوجود. " [٢]

النقطة الخامسة: الوعي بالاختلاف الدلالي للمفهوم في البنى الفكرية المختلفة

حين كانت البِنَى المفاهيمية خلاصة للبنى الفكرية كان لا بد من استبطان هذه القاعدة في المحاورات الفكرية التي تحدث بين أرباب هذه البِنى، وإذا لم تتحدد هذه المفاهيم تُضحي هذه المحاورات من باب المماحكات اللفظية ؛لذا رأينا وجدي يُفَرِّق بين المفاهيم في كل من البِنَى الفكرية الإسلامية والغربية

" نحن هنا قيل أن نتكلم على ماهية الدين بالمعنى المراد للإسلام يجب علينا أولا أن نتكلم على ما يفقه علماء أوربا من هذه اللفظة بعد أن مَحَّصوا العلوم محصًا، وأوسعوا الكون بحثًا عن نواميسه، وتنقيرًا عن قوانينه ." [٣]

ويبين فريد وجدي أن من أوجه الاختلاف المفاهيمي بين البِنَى الفكرية المتنوعة الاختلاف في العلاقات بين المفاهيم بعضها بعضا، فمثلا نرى أن

---

1) الإسلام وتحرير الفكر الإنساني،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ٩٩(مرجع سابق)

2) المرجع السابق صـ ١٠٠

3) المرجع السابق صـ ٢١٦

" الروح والنفس لفظان مترادفان يدلان على شيء واحد، وهو النفحة الإلهية التي تحل بالجسم الحيّ وتظهر فيه بمظاهر الحركة والحس والتعقل والإرادة، ولكن الفلسفة فرَّقت بينهما تَفرِقة صناعية، فجعلت الروح خاصَّةً بتلك النفحة الإلهية في سُمُوِّ جوهرها وصفائها من كُدور الطبيعة المادية، وتنزُّهِهَا عن التَلَوُّنات العَرَضية؛ وجعلت النفس اسمًا للشخصية التي تنشأ من تعلق الروح بالجسد، حيث تكون فيها محجوبةً به، ولا تتصل بالوجود إلا من طريق حواسِّه الخمس، وفي هذه الحالة تكون تلك الشخصية التي تنشأ عنها مُلتاثةً بأقذاء الطبيعة المادية، تُشْبِه من جميع الوجوه الشخصية الحيوانية، بل تكون بما تستمدُّه من حِيَلِ العقل، أشدَّ تطرُّفًا منها في الشهوات البهيمية والميول الوحْشيَّة." (١)

إن هذه القدرة التميزية للمفاهيم والمصطلحات تُنهي حالة القطيعة المعرفية بيننا وبين البِنَى الفكرية الأخرى؛ لأنها تجعلنا أكثر قدرة على قرآءة ما وراء المفهوم في السياق المعرفي الإسلامي، فلا نتعجل برد المفهوم بكل مفرداته

" كل ما ننصح به الباحثين في الإسلام أن لا يجعلوا المصطلحات العلمية الجديدة أسبابًا تحول بينهم وبين معرفة ما انطبع عليه الإسلام، مثال ذلك أن الفلسفة الحديثة تُعَلِّق كل ارتقاء تبلغه الأمم في شئونها المادية والأدبية على إدراكها للجمال المعنوي، وتقول إنه بقدر ارتقاء شعور الأمة بهذا الجمال يكون ارتقاؤها في عالم المدنية والفنون، والإسلام لم يتقيد بهذه التسمية، ولكنه حثَّ ذويه على العَبِّ من المعين الذي يُوجِد لهم الشعور بالجمال المعنوي، فأمرهم بالنظر في مصنوعات الله، وبالتفكر في بدائع الخلق ." (٢)

) الروح الإسلامية وأثرها في النفس الإنسانية،مُحَمَّد فريد وجدي ، مجلة الأزهر المجلد السابع جـ٤ صـ ١٢٢٩1(

) مهمة الإسلام في العالم،مُحَمَّد فريد وجدي صـ١٣١(مرجع سابق)2(

النقطة السادسة : دلالة الاتساع الاستعمالي للمفهوم

من المناحي التي طرقها فريد وجدي في مسعاه التحريري للمفاهيم بيانه أن الشيوع الاستعمالي للمفهوم لا يستلزم وضوحه، فمثلًا : " إن لفظة دين قديمة جدا كَقِدَم مسماها، وشائعة بين كل الطوائف البشرية سواء حاضرها وباديها، وَحْشِيّها ومتمدنها، ولكنهم لم يدركوا معناها على الوجه الحقيقي الذي جاءت به الشرائع الإلهية والذي ينطبق على رحمة الخالق وعنايته ." [١]

النقطة السابعة : بيان خطورة الانحسار الدلالي للمفاهيم(اختزال المفهوم)

بيَّن فريد وجدي أن هناك ظاهرة تنال الاستخدام المفاهيمي وهي الانحسار الدلالي للمفاهيم أو ما يمكن أن يُطلق عليه (الاختزال المفاهيمي)

إن هذا الاختزال المفاهيمي يؤدي إلى اختزال في البنى الفكرية والتوهم في تصور أبعادها؛ لأن المفاهيم كما ذكرنا هي خلاصة البِنَى الفكرية التي تتبع لها؛ لذا رأينا فريد وجدي يضرب لنا مثلًا بمفهومي الأخلاق والآداب، ويبين أنه قد حدث اختزال لهذين المفهومين عند البعض فظهرا في إطار سكوني وليس في إطار ديناميكيٍّ فعَّالٍ.

لقد بين فريد وجدي أن هناك قوى مُودعة في الإنسان تحتاج إلى تدبير لها حتى تؤدي وظيفتها فقال: "الأخلاق والآداب المجردة من هذا التدبير لا تُثمر شيئًا أكثر من حسن السمت، ولطف المعاشرة، وهذا ليس بكبير الخطر في حياة الأمم، ولا هو مما يُغني عنها شيئًا في مواقفها حيال الطبيعة، وحيال الجماعات التي تنازعها الوجود والغَلَب." [٢]

1( ) في الرد على الماديين، دراسة نقدية لكتاب حضارة العرب د:جوستاف لوبون، مُحَمَّد فريد وجدي تقديم وتذييل د/ مُحَمَّد عمارة، صـ ٤٩،هدية مجلة الأزهر جمادى الأولى (١٤٣٤هـ)

2( ) الروح الإسلامية وأثرها في النفس الإنسانية ،مُحَمَّد فريد وجدي، مجلة الأزهر، المجلد السابع جـ ٩ صـ٩٩٣

ويمضي فريد وجدي في الكشف عن الأبعاد الأخرى لمفهومي الأخلاق والآداب، تلك الأبعاد التي تجعلهما ذات تأثير حقيقي في إدارة القوى الإنسانية

" فالإنسان كما يُطلب منه أن يكون على ضربٍ من الأخلاق إزاء معاشريه ومواطنيه، كذلك يُطلب منه أن يقوم على ضرب آخر منها أمام الجوائح الطبيعية المساورة له، وحذاء الجماعات التي تُزاحمه في مضمار الحياة. وهو إن انقاد لمجرد ميوله الفطرية في هذه الأمور، فلا يتأدى إلى أكثر مما تأدتْ إليه الطوائفُ الساذجة في أول وجودها على الأرض، من تأليه القوى الطبيعية والاستخذاء."[1] لفاعليها، وبذل الجهد كله في مكافحة الجماعات المعادية لها، والعمل المتواصل على إبادتها أو الفناء فيها.

هذا كلُّ ما تُعطيه الميول الفطرية غير المُقوَّمة تقويمًا علميًا، وقد استمر الإنسان على هذه الحال قروناً لا تُحصى حتى وُلد العلم، فعيَّن موقف الإنسان من الطبيعة ومن الجماعات الإنسانية، كما عيَّنه من المجتمع الذي يعيش فيه، وألزمه في كل موقف من هذه المواقف أخلاقًا وآدابًا تناسب القوى العليا المودعة صميم معناه الإنساني.

هذا ما يفهمه العلم من كلمتي أخلاق وآداب، أما ما يفهمه البعض منهما وهو ما يقتصر على المخالطة والمعاملة، فهو ناحية صغيرة من نواحيها، وليست بذات أثر كبير في وجودها وترقيها." [2]

ويكشف فريد وجدي عن خطورة قيام الأمم على هذين المفهومين في إطارهما الاختزالي؛ لأن هذا الاختزال المفاهيمي يستتبع حتمًا اختزالًا في استحضار أبعادهما المحورية في البناء الحضاري المنشود

1( ) أي الخضوع والتذلل يقال : خذأت أخذأ، إذا خضعت له خذوءا وخذءا، أخذيت فلانا، أي أذللته (معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، جـ٢صـ١٦٦، مرجع سابق)

2( ) الروح الإسلامية وأثرها في النفس الإنسانية ،محمد فريد وجدي مجلة الأزهر المجلد السابع جـ ٩ صـ٩٩٣

" فلو قامت أمةٌ من أخلاقها وآدابها على مثل ما عليه الكَمَلَةُ الأطهار، ولم تُوسِّع من دائرة هذه الأخلاق والآداب حتى تشمل سيرتها مع الكون الذي تعيش فيه، والجماعات التي تُنَازُعها العيش، هان أمرها على أصغر أُمَّة تُعْنَي بهذه الناحية الثانية من الأخلاق، وليست من الناحية الأولى على شيء. فكم قبيلٍ[1] على مثل ما عليه الوحوش الضاربة من الخشونة والتجرد عن الأخلاق، داهموا قبيلًا آخر في أسمى درجات الآداب، فأذاقوهم صنوف الويل، ومزَّقوهم شر مُمَزَّق، وجعلوهم أحاديث!!!

وكم أمة لا يراعي آحادها الأصول الأدبية المثلى، ولكنهم على أصول قويمة حيال الوجود والأمم، قد وصلوا إلى قمة المدنية المادية، ومَدُّوا سلطانهم على مساحات واسعة من الأرض، وبجوارهم أممٌ لا همَّ لها إلا تدارس الآداب وتطبيقها وهي لا تُغْنِي عن أنفسها فتيلًا." [2]

النقطة السابعة: محورية التثبت في استكناه المفهوم

لقد ارتأى وجدي أن من أعظم أوجه الخلل الفكري عدم تجاوز المفاهيم مرحلة الإطار اللفظي الذي يعتمد على مجرد الترديد الصوتي مع الخلو من مرجعية التثبت والتدبر.

" الماديون بحكم أصولهم مُضطَرون لإنكار النبوة واعتبارها شعوذةً وتدليسًا وخداعًا، ولحسبان المُلْتَقِّين حولها سُذَّاجًا مخدوعين، وغفلا مأفونين.

1( ) القبيل: الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدًا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب (مختار الصحاح ،زين الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ،تحقيق: يوسف الشيخ مُحَمَّد،صـ٢٤٦ ،المكتبة العصرية ، الدار النموذجية، بيروت ، صيدا، طـ٥(١٩٩٩م)

2( ) الروح الإسلامية وأثرها في النفس الإنسانية ،مُحَمَّد فريد وجدي مجلة الأزهر المجلد السابع جـ ٩ صـ٩٩٣

هذا تعليل قليل الكلفة، سائغ في نظر الذين لا يهمهم تحقيق الأمور، ولكن الذي أُوتي نعمة التثبت يصعب عليه أن يتحلل من النظر في أمر جلل كأمر النبوة بكلمة يلفظها لا يعرف مبلغها من الصحة ." [١]

النقطة الثامنة :الاهتمام بالمنحى الوظيفي للمفهوم

ويضعنا فريد وجدي في نقطة فارقة أخرى في قضية الوعي المفاهيمي وهي أنَّ من روافد الرصد الحقيقي للمفهوم الوقوف على وظائفه؛ لذا رأيناه حين تطرق إلى مفهوم العلم في بعض المواضع لم يسرد تعريفاته المتنوعة إنما ركَّز على سياقه الوظيفي فقال : "والمراد بالعلم ما يرفع الجهل، ويُنَمِّي العقل، ويُنَبِّه ملكات النفس، ويكشف الحقائق الوجودية. "[٢]

إن هذه المناحي المتنوعة التي سلكها فريد وجدي في تصور المفاهيم استحقت أن تكون مرتكزًا من مرتكزات بنية التفكير لديه،لأنها :

(١) أوجدت طائفةً من المفاهيم الواضحة في دلالتها.

(٢) شكلت أرضيةً لا غنى عنها في النقاش حول بنيته التفكيرية .

(٣) شكلت امتدادًا لإبداع العقلية الإسلامية في الجانب المفاهيمي.

المطلب الثاني

مرتكز : تبني النظرة الكلية

لقد كان من أعظم تجليات الإسلام في صياغته للعقلية الإسلامية

(1) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة ،مُحَمَّد فريد وجدي ،تقديم: د :مُحَمَّد رجب البيومي ،صـ٦٧ الدار المصرية اللبنانية (بدون)

(2) الإسلام دين عام خالد،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ٤١، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، صـ ٦(١٩٣٢م)

تشكيله للقدرة على التوصل إلى الأطر الكلية التي تندرج تحتها الجزئيات، والأصول العامة التي تستتبع ما تحتها من الفروع.

وبرزت العديد من العلوم المعبرة عن تمكن العقلية الإسلامية من هذه الملكة مثل: أصول الدين،وأصول الفقه،وعلم المقاصد،والقواعد الفقهية،وغيرها من العلوم الإسلامية.

ويكشف لنا رواد الفكر الإسلامي عن محورية التوصل إلى القواعد العامة وفقهها، ففي مجال القواعد الفقهية مثلًا نجد الإمام القرافي يقول:

" هذه القواعد مهمة في الفقه، عظيمة النفع، وبقدر الإحاطة بها يَعْظُم قدر الفقيه ويَشرُف، ويظهر رونق الفقه ويُعرف، وتتضح مناهج الفتاوى وتُكشف. فيها تنافس العلماء، وتفاضل الفضلاء، وبرز القارح على الجذع[1] ، وحاز قصب السبق من فيها برع، ومن جعل يُخَرِّج الفروع بالمناسبات الجزئية دون القواعد الكلية تناقضت عليه الفروع واختلفت، وتزلزلت خواطره فيها واضطربت، وضاقت نفسه لذلك وقنطت، واحتاج إلى حفظ الجزئيات التي لا تتناهى وانتهى العمر ولم تقض نفسه من طلبٍ مُناها، ومن ضبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها في الكليات، واتَّحد عنده ما تناقض عند غيره وتناسب." [2]

لأهمية هذه النظرة الكلية رأيناها إحدى مفردات البنية الفكرية لفريد وجدي، ويمكن استجلاء هذه المفردة لديه من خلال ما يلي :

---

(1) يقصد المؤلف أن بوعي هذه القواعد يبرز من له ملكة في العلم راسخة تحصلت بمضي السنين الطوال ممن لا يزال في بداية الطريق كما يبرز الفرس القارح الذي تخطى في السن على الجذع الذي ما يزال في مبدئه، فقد جاء في لسان العرب : (قَرَحَ الفرسُ يَقْرَحُ قُرُوحاً، وقَرِحَ قَرَحاً إِذا انْتَهَتْ أَسنانه، وإِنما تَنْتَهِي فِي خَمْسِ سِنِينَ لأَنه فِي السَّنَةِ الأُولى حَوْلِيّ، ثُمَّ جَذَعٌ ثُمَّ ثَنِيّ ثُمَّ رَباعٌ ثُمَّ قَارِحٌ. (لسان العرب، ابن منظور جـ ٢صـ٥٦٠)

(2) الفروق للقرافي جـ١صـ٣ (مرجع سابق)

النقطة الأولى : جدارة النظرة الكلية بصرف المجهود الفكري

لقد بين فريد وجدي أن أَوْلى المجالات التي يُصرف فيها المجهود الفكري للمفكر نظرته الكلية إلى القضايا، والتوصل إلى مجموعة العلل والاصول التي ينبني عليها غيرها.

" لا نود أن نصرف مجهوداتنا إلا على العموميات التي تندرج تحتها الجزئيات اندراج الفرع في الأصل، أي أننا لا نحب أن نشتغل من كل مسألة إلا بدستورها الأساسي الذي تتنزل منه القوانين التي تسيطر على كثرة أشكالها وتطوراتها ."[١]

إذا كان تبني النظرة الكلية ومستتبعاتها من البحث عن العلل والسنن أفضل ما تُصرف فيه الأوقات فهل الإنسان بتركيبته الروحية والعقلية والجسدية مهيؤ لتبني تلك النظرة ؟

وهل تبنِّيه لها يمكن أن يكون سياقًا من السياقات المميزة بينه وبين غيره من المخلوقات ؟

يقول فريد وجدي : " حياة الإنسان الشخصية والعمومية تابعة لقوانين ثابتة وسنن مُقَدَّرة (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) [٢]، وقد وُهِبَ الإنسان القدرة على البحث عنها ومعرفتها بخلاف الحيوان فإنه مطبوع على قوانينه، فما دام لا يبحث عن تلك السنن لينصاع لأحكامها فيكون قد أراد أن يُشْبه الحيوان فيعيش كما يجيئ لا كما يجب ." [٣]

النقطة الثانية : النظرة الكلية وآفاق التجديد

) الإسلام في عصر العلم ، مُحَمَّد فريد وجدي جـ٢ صـ ٧٦٢1(

) سورة الطلاق آية رقم(٣)2(

) الإسلام في عصر العلم ، مُحَمَّد فريد وجدي جـ٢ صـ ٧٦٦3(

إن استصحاب هذه النظرة الكلية يُغير من الرؤية التقليدية لأصول الشريعة من القرآن والسنة، ويفتح آفاقًا من التجديد في التعاطي معها؛ لذا بيَّن فريدوجدي أن آيات الترهيب في القرآن الكريم ينبغي رؤيتها في الإطار الكلي للإصلاح القرآني " الناظر في هذه الآيات وفي الكتاب عشراتٌ من أمثالها يعجب من كثرتها، ولكنه لو أدرك أن هذا كله تمهيدٌ لأعظم إصلاح تم حدوثه في الأرض، وكان فاتحة لكل الإصلاحات التي تلتها من بعد ذلك،الإصلاح الذي رمي لأن يرفع عن النفوس البشرية نير العبودية للأوهام والتقاليد التي أمسكتها في الظلام أجيالا طويلة، يتبين له وجه الحكمة من الإكثار من هذه الزواجر." (١)

ويزيد فريد وجدي وجدي الأمر وضوحا فيقول :

"ألا ترى أن النفوس متى تحققت أنها لا ينجيها من عذاب الآخرة شيء غير عملها الذاتي انساقت للنظر في خلاصها، وما دام لن ينفعها شفاعة شافع ولا قرابة قريب ولا اتباعها لمن تتخيل فيهم الهداية وتتوهم منهم الوساطة كرهت الجمود على الموروثات، ومقتت التقليد للآباء، وأيقظت في نفسها خاصة النقد والتمحيص في كل ما يعرض لها من العلم، فلم تَعُد أسيرة أحد فيما تعتقده وما تأخذ به، وهذا هو معنى حرية الفكر واستقلال الرأي الذي سعى لإقامة دولتيهما العباقرة ." (٢)

إن هذه النظرة الكلية في التعاطي مع آيات الترهيب في القرآن الكريم تُبين مدى الاختزال المعنوي الذي تتعامل به بعض دوائر الخطاب الدعوي المعاصر مع تلك الآيات؛ حيث يتم عرضها منفصلة عن المنهج الإصلاحي الإسلامي العام ومراعاته لمفردات الطبيعة الإنسانية.

) الإسلام وتحرير الفكر الإنساني،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ١٤٥(

) المرجع السابق صـ ٢٤٥(

إن هذه النظرة الكلية للوحي الإلهي تُنتج لا محالة طائفة من القواعد في كل مجال معرفي " فلا قاعدة دلت عليها التجارب، ولا نظرية تأسست بشهادة المشاعر يكون لها أثر في ترقية الإنسان وتحسين بناء العمران إلا وهي صدى صوت آية قرآنية أو حديث من الأحاديث النبوية، حتى يُخَيَّل للرائي أن كل جِدٍّ ونشاط يحصل من علماء الكرة الأرضية في سبيل رفعة شأن الإنسانية لا يُقصد به إلا إقامة الحجج التجريبية على صحة قواعد الديانة الإسلامية (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٥٣) (١)

وهذه القواعد والسنن التي يستقيها الفكر من التأمل في الوحي هي الفارق الحقيقي بين الإسلام وغيره

" إن هناك أمرًا خطيرًا يضع الدين الإسلامي في مستوى يعلو به عن سائر الأديان،ويستلفت إليه النظر استلفاتًا خاصًا،ويجعله دينًا عامًّا تميل إليه النفوس لا بقوة البرهان ومضاء الحجة وسلامة أصوله من الخلل فقط ولكن بقوة النواميس الاجتماعية القائدة للإنسانية إلى كمالها ." (٢)

إن فريد وجدي يقرر أن هناك مفردات عدة تكشف عن القوة الذاتية للإسلام ينبغي أن تكون حاضرة في أذهان القائمين بعرضه؛ لأنها تنبع من خاصية الخاتمية لهذا الدين، ومخاطبته كل المكونات الإنسانية،ومن يتدبر الواقع الدعوي المعاصر يجد أن هناك بعضًا من القصور في عرض مفردة السنن هذه.

النقطة الثالثة: مستتبعات النظرة الكلية

---

1) المدنية والإسلام،محمد فريدوجدي صـ ١٤٧(

2) سفير الإسلام إلى سائر الأنام ،محمد فريد وجدي صـ ١٣ مطبعة الواعظ (١٣٢٤هـ)(

إن تبني النظرة الكلية التي توضح المبادئ العامة لأي من القضايا يُعَدُّ مدخلا لا غنى في إثبات الدعاوى، لذا رأينا فريد وجدي وهو يناقش قضية جواز ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة يبدأ القضية من نقطتها الأولى أعني مقاصد الهداية القرآنية، وهل هذه المقاصد تستلزم هذه الترجمات أم لا، فيقول :

" وأهل القرآن إنما نُدبوا لذلك لأن له مقاصد عالية لا تتم إلا بتعميم نشره واشتراك أمم مختلفة في إقامته ،وهذه المقاصد العالية تنحصر أصولها في المرامي الآتية :

١ . تطهير العقائد الأولية مما أُدخل عليها من آراء المتزيدين وأضاليل المتأولين.

٢ . إنقاذ الضمير البشري من الذين انتحلوا حق التسلط عليه، وتطهيره مما ران عليه من وساوسهم وخزعبلاتهم.

٣ . إقامة سلطان العقل، وإعلان حرية النظر، وهدم صنم التقليد.

٤ . إسقاط الوسطاء بين الله وخلقه، والمناداة بالمساواة العامة بين الناس أحمعين.

٥ . وحدة الجماعات البشرية كافةً بقيامها جملةً على كلمة الله العليا .

٦ . إهدار ما بينها من فروق قومية واختلافات جنسية ولغوية في ظلال الوحدة الإنسانية .

٧ . إقامة دولة الحق في الأرض، وجمع القلوب عليها، والتضافر على إزهاق الباطل .

٨ . دخول الأمم كافة إلى حظيرة السلام، والتكافل على تحقيق الخير العام بنشر التعاليم الفاضلة بين الناس قاطبة.

٩ . دوام الارتقاء في العلم والعمل، والوصول إلى الحق من طريق النظر في آيات الله، وتحدي المثل العليا للوصول إلى الكمال المقدر للإنسان .

١٠ . إنذار من لا يساهم من الجماعات على تحقيق هذا الإصلاح العام بالعذاب في الدنيا وسوء المنقلب في الحياة الأخرى . [١]

رغم أن استقراء فريد وجدي للمقاصد القرآنية قد يخالفه فيه غيره، خاصةً أنه ادعي حصرها في هذه المقاصد إلا أن الشاهد هنا تقديمه لهذه المقاصد كدليل يُثبت به دعواه المتمثلة في جواز ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى. [٢] مما يعكس لنا دورًا وظيفيًّا من أدوار النظرة الكلية ونتاجها من القواعد.

النقطة الرابعة: النظرة الكلية وانضباط التصورات

من النقاط التي برزت في تبني فريد وجدي للنظرة الكلية أن الوعي بهذه المقاصد يصحح التصورات الخاطئة المبنية على مقاصد متوهمة

" مقصد الله . جلَّ وعلا . من سَنِّ الأديان ليس هو التهالك في العبادة الجسمية، أو التفاني في الزهادة المُضنية، بل قصده تهذيب الجمعيات البشرية وترقيتها إلى أوج مدنيتها بسيادة النواميس المدنية على أفرادها ." [٣]

إذاً فهناك مقصدان مُتَوَهَّمان لما جاءت بهما الرسالات الإلهية:

الأول : مقصد التهالك في العبادة الجسمية.

(1) الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية ،مُحَمَّد فريد وجدي صـ٣ ، ٤، ملحق بالجزء الثاني من مجلة الأزهرسنة (١٣٥٥هـ) ط٢

(2) بالرغم من أن مسألة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى مسألة شغلت حيزًا من تراثنا الإسلامي خاصة كتب علوم القرآن، إلا أنها كانت محلًا لسجال علمي قُبيل منتصف القرن العشرين؛ حيث ألف الإمام المراغي رسالة في ترجمة القرآن توالت بعدها الرسائل المؤيدة كرسالة الأستاذ فريد وجدي، والمعارِضة كرسالة الشيخ مصطفى صبري (مسألة ترجمة القرآن الكريم)، والتي نقد فيها رسالتي الإمام المراغي والأستاذ وجدي.وطبعتها المكتبة السلفية بالقاهرة(١٣٥١هـ)

) المدنية والإسلام،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ١٢٢3(

الثاني : مقصد التفاني في الزهادة المضنية.

ومنشأ التوهم هنا تغليب النظرة التجزيئية، وغياب النظرة الكلية، تلك النظرة التي تعطي منحى توازنيًّا في مفهوم العبادة، ومن ثَمَّ مسالك التعبد.

النقطة الخامسة : عوائق تبني النظرة الكلية

وإذا كان للنظرة الكلية كل هذه المحورية في تشكيل البِنَى الفكرية المنضبطة في منشأها وامتداداتها، فإن هناك عوائق تحول دون استكمال هذه النظرة الكلية، ومن أبرز تلك العوائق الاستسلام للنظرات التجزيئية وإخراجها من سياقها التجزئيي إلى السياق الكلي الحاكم. لذا رأنيا فريد وجدي بعد أن تحدث عن بعض المنحي السلبية للمدنية الغربية حديثًا مصحوبًا بنظرة كلية رأيناه يبين أن هناك رؤى مخالفة انطلقت من تعميم نظرة جزئية، وإعطائها منحى كليا

" إنا لنعلم أن فينا من يرى في كلامنا هذا شيئًا من الغلواء؛ لأنهم لم يروا بأعينهم، ولم يبحثوا بعقولهم هذا الشكل الذي نحكي عنه، ولكنهم لو كلفوا أنفسهم مشقة البحث في حالة القوم من جهات متعددة ولم تُوقفهم سواحر الصناعة وأنوارها الكهربائية لعلموا أن الأمر أهول مما نصف بكثير ." [١]

ورأيناه يقول في نفس السياق :" فإن المتحمسين منا بشكل هذه المدينة يرون نظام حالة القوم الاقتصادية فيحكمون بنظامها على سائر أحوالهم الحيوية مع أن هذا النظام الاقتصادي نفسه أشد ما تشكو منه أمم الغرب." [٢]

وبيَّن فريد وجدي أن هذا الخلل . أعني تحكيم النظرة الجزئية وجعلها في إطار كلي . هو السبب الحقيقي وراء فساد المذهب المادي " فإن كانت روح

---

1) الإسلام في عصر العلم ، مُحَمَّد فريد وجدي جـ١،صـ ١٤٦(

2) المرجع السابق جـ١ صـ ٢٤٧(

الجماعات القائمة اليوم قد اعتادت أن تجد إزاء كل انتقال اجتماعي علة أو عللا مادية تفسر حصوله فلا يجوز مسايرة لهذا الروح أن نعمى عن التأمل في حوادث تعلو عن متناول العلل الطبيعية ." (١)

وينفذ فريد وجدي إلى الفارق بين النظرة السطحية الشكلية للظواهر وبين النظرة المتعمقة فيقول : " إن المُشاهَد أن كل ظاهرة طبيعية تُحدثها علة طبيعية ،ومن هنا يتخيل من يبحث بحثًا سطحيًّا في علل الوجود أن علله ذاتية فيه ،ولكن العقول اجتازت هذه العقبة فرأت أن هذه العلل الجزئية لا يتأتى أن تكون معلولاتها منتظمة إلا إذا كانت كلها مُتنزِّلة من علة رئيسية تصدر عن تدبير سابق للحوادث ." (٢)

إن الوعي بالجزئيات وموقعها هو من أوجب الواجبات على أي من المفكرين بحيث " لا يسمح لغشاوة الجزئيات أن تحجب عنه الرؤية الكلية للمسائل التفصيلية كما أنه لا يفتأ يبحث عن الأسس والأصول النظرية الكلية التي تقوم عليها المعتقدات الخاصة ." (٣)

ومن عوائق تبني النظرة الكلية كذلك الاكتفاء بالترديد الصوتي لمجموعة من الألفاظ، وجعلها بديلةً عن البحث عن العلل الحقيقية وراء الحوادث

" قلنا مرارًا ولم نزل نقول إن اكتفاءنا في تعليل مضائكنا بالألفاظ الضخمة والعبارات المَفُوقة هو الذي ضللنا في مدركاتنا، وصغَّر في أعيننا وظيفة تربية الأمم ." (٤)

) في الرد على الماديين،محمد فريد وجدي صـ ١٥٢(

) لماذا هو ملحد،محمد فريدوجدي، مجلة فصول، العددان ٨٥،٨٦ ربيع صيف ٢٠١٣صـ٢٣٩٨(

) الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية ،د: حسن الفاتح قريب الله صـ٨٣، مطبعة الأمانة (٢٠٠٣م)3(

) الإسلام في عصر العلم ، محمد فريد وجدي ،جـ١ صـ ٦٤4(

إن هذه النقاط التي صغنا فيها رؤية فريد وجدي لمرتكز النظرة الكلية أرتنا محورية هذه النظرة في بنائه الفكري،وكونها السبيل الأعظم لتوصله إلى تشكيل تصورات عامة حول القضايا الإسلامية المختلفة.

المطلب الثالث

مرتكز : القدرة على التعاطي مع الإشكاليات

يمكن صياغة التاريخ المعرفي للإنسانية على أنه كان في حقيقته حلقات متتالية من تفاعل العقل الإنساني مع الإشكالات الكبرى التي تصدم حركة تفكيره

هذا التفاعل الذي تشكلت بسببه الأفكار، وتباينت من خلاله الرؤى، وتعددت إزاءه الاتجاهات.

ولقد كان من خصائص البنية العقلية التي أرادها الإسلام للشخصية المسلمة أنها تلك العقلية التي لا تتوقف عن الجولان في مناحي الفكر وطرح الأسئلة المبدعة التي تشكل تفاعلًا مع الحدث بكل تداعياته.

إنها العقلية التي لا تخشى التعاطي مع أيٍّ من الإشكالات لأنها مرتبطة بطائفة من الحقائق تمثل لها الإطار المرجعي؛ لذا رأينا إيراد الاعتراضات والإشكالات قد أخذ حيّزًا لا يمكن إنكاره من خارطة التأليف لتراثنا الإسلامي، بل أضحت لدينا علوم كاملة تحمل هذا الاسم صراحة كعلم مشكل القرآن، وعلم مشكل الحديث، وعلم مختلف الحديث. (١)

---

(1) يقول الشيخ أبو شهبة : والحق أن بين المختلف والمشكل فرقا في الاصطلاح.

فمختلف الحديث يكون بوجود تعارض: تضاد أو تناقض بين حديثين أو أكثر.

وأما مشكل الحديث فهو أعم من ذلك، فقد يكون سببه وجود تعارض بين حديثين أو أكثر، وقد يكون سببه كون الحديث مشكِلا في معناه لمخالفته في الظاهر للقرآن مثلًا، أو لاستحالة معناه، أو لمخالفته لحقيقة من الحقائق المتعلقة بالأمور الكونية التي كشفت عنها العلوم والمعارف الحديثة كعلم الفلك، أو الطب، أو علم سنن

إن هذه العلوم تُعَدُّ ميزة من ميزات تراثنا الإسلامي وبرهانًا من براهين الإبداع الفكري في هذا التراث خاصة أن منطلقها كان طبيعة الوحي الإلهي كما قال ابن قتيبة في كتابه (مشكل الحديث وبيانه)

" آي الكتاب قسمان، فقسم هو مُحْكَمٌ، تأويله بتنزيله، يُفهم المراد منه بظاهره وذاته، وقسمٌ لا يُوقف على معناه إلا بالرد إلى المُحْكَم، وانتزاع وجه تأويله منه ،فكذلك أخبار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جارية هذا المجرى، ومُنَزَّلة على هذا التنزيل، فمنها الكلام البيِّن المستقل في بيانه بذاته، ومنها المفتقِر في بيانه إلى غيره، وذلك على حسب عادة العرب في خطابها، وعُرْفِ أهل اللغة في بيانها؛ إذ لم يكن كل خطابهم جليًّا بيِّنا مستغنيا عن بيان وتفسير، ولا كله خفيًّا مستحيلا يحتاج إلى بيان وتفسير من غيره." [1]

وإن من يتدبر التاريخ الفكري للإسلام يدرك أن التعاطي مع الإشكاليات تعاطيًا إيجابيًّا كان أحد أبرز أسباب الحراك الفكري؛ حيث كانت الحاجة ماسة لقدح زِناد العقل، واستثارة ملكاته للرد على اعتراضات أصحاب الرؤى المخالفة؛ لذا رأينا الشيرازي[2] يقول في سبب تأليفه لكتابه (المعونة في الجدل):

" لمَّا رَأَيْت حَاجَة من يتفقه ماسَّةً الى معرفَة مَا يُعْتَرض بِهِ من الأدلة وَمَا يُجَاب بِهِ عَن الاعتراضات، وَوجدت مَا عملت من الملخص فِي الجدل

الله الكونية, وهو ما يُسمَّى في لسان الناس: علم الطبيعة. (الوسيط في علوم ومصطلح الحديث،مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سويلم أبو شُهبة، صـ٤٤٣، دار الفكر العربي)

(1) مشكل الحديث وبيانه، مُحَمَّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر،تحقيق: موسى مُحَمَّد علي،صـ٢٣، عالم الكتب – بيروت، ط٢(١٩٨٥م)

(2) هو شيخ الإسلام: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزاباذي بكسر الفاء أبو إسحاق الشيرازي ، وُلِد بفيروزاباذ وهي بليدة بفارس سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، ونشأ بها ، صاحب التنبيه، والمهذب في الفقه، والنكت في الخلاف، واللمع وشرحه، والتبصرة في أصول الفقه، والملخص والمعونة في الجدل، وطبقات الفقهاء، وغير ذلك.(طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي،تحقيق: د. محمود مُحَمَّد الطناحي، د: عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢(١٤١٣هـ)

مَبْسُوطا [1] صنفت هَذِه الْمُقدمَة لتَكون مَعُونَة للمبتدئين، وَتَذْكِرَة للمنتهين، مُجزية فِي الجدل، كَافِيَة لاهل النّظر، وقَدَّمت على ذَلِك بَابًا فِي بَيَان الأدلة ليَكُون مَا بعده من الاعتراضات والأجوبة على ترتيبه." [2]

إن المنهج الإسلامي حين أنشأ تلك العقلية استاطعت أن تتعاطى مع الإشكالات حتى وإن تعلَّق بها أعداء هذا المنهج، وحوَّلوا مسارها من إشكلات تستثير العقل للتعاطي معها إلى معاول هدم لهذا المنهج، فألبسوها لباس الشبهة،لذا فقد ألَّف أرباب الفكر الإسلامي عشرات من الكتب تفند ما أثاره أعداء هذا الدين من إشكالات

يقول ابن قتيبة في مُفْتَتح كتابه (تأويل مشكل القرآن): «قد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرَّفوا الكلام عن مواضعه، وعدَّلوه عن سُبُله، ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النَّظْم، والاختلاف، وأدلوا في ذلك بِعَلَل ربما أمالت الضعيف الغمر [3]، والحدث الغِر [4]، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور ... فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة،

(1) يقصد المؤلف كتابه الملخص في الجدل ، ويُوجد له نسخطة مخطوطة في الجامع الكبير بصنعاء تحت رقم(٦٤) أصول فقه (انظر تقديم الدكتور: علي بن عبد العزيز العميريني لكتاب المعونة في الجدل ،لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي المعروف بالشيرازي،تحقيق د: صـ١٤، جمعية إحياء التراث الإسلامي ،مركز المخطوطات والتراث ،تحقيق التراث (٢) ط١ (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)

(2) المعونة في الجدل،أبو إسحاق بالشيرازي،تحقيق د: علي بن عبد العزيز العميريني صـ٢٦

(3) الغمر : هو الذي لم يجرب الأمور كأنها سُترت عنه (معجم مقاييس اللغة ،ابن فارس جـ ٤صـ٣٩٣)

(4) من الغرارة، وهي كالغفلة (المرجع السابق جـ صـ٣٨٢)

والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يُلْبِسون، فألّفت هذا الكتاب جامعا لتأويل مشكل القرآن." (١)

فريد وجدي والتعاطي مع الإشكاليات

النقطة الأولى : الإشكاليات وبداية الطريق الفكري

لقد بيَّن فريد وجدي أن التعاطي مع الإشكاليات التي يطرحها العقل لم يُمَثِّل مجرد ناتج من نواتج رحلته الفكرية، بل كان دافعًا من دوافعها حيث صُدِم وجدي وهو ما زال في بدايته بتلك الإشكاليات

" كنتُ في ذلك العهد . أي منذ ثلاثين سنة . قد أتممت جولةً شاقةً مُتْعِبة قد أَجَلْتُها وأنا فَتِيُّ السِنِّ، وحيدًا في متاهات خالية من الهُداة والأدِلَّة، وفي وسط جماعات علمية لا تَمُتُّ إلى هذه المباحث بسبب، فكنت أرتطم في الشبهة العلمية، وأصلى نارها وحدي، لا أحد يهديني إلى حلِّها، ولا يَدُلُّني على مقابلها." (٢)

النقطة الثايية : الإشكاليات والقضايا الفكرية الكبرى

ولقد بيَّن وجدي أن هناك قضايا كبرى في مسيرة المعرفة الإنسانية ما زالت تحوي العديد من الإشكاليات، ومن أبرز تلك القضايا قضية الإنسان بماهيته، ومكوناته، ومسار حركته في الحياة

" لقد استعصى أمر الإنسان على نفسه وعلى القائمين عليه من عقلاء بني جنسه حتى صار عقدة الإشكالات، ومعضلة الروايات، وموضع الحيرة والريب، وأصبح هو نفسه بعد أن كان لا يخشى إلا مبيدات الوجود ومهلكات

(1) تأويل مشكل القرآن، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين صـ٢٣، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

(2) الإسلام في عصر العلم،مُحَمَّد فريد وجدي صـ٩

الطبيعة لا يرى لنفسه عدواً غير نفسه، ولا لذاته خصمًا غير من يحيط به من أهله وعشيرته ." [١]

النقطة الثالثة : الخصوصية الزمانية والتعاطي مع الإشكاليات

وكشف فريد وجدي عن محورية حل الإشكاليات في الإطار الزمني الذي كان يحياه، هذا الإطار الذي حمل معه خصوصية فكرية واضحة تمثلت في اتساع حجم التشكيك في الحقائق الدينية والعلمية

" " العلم قد غرس في النفسية البشرية في العهد الحديث أن كل معقول لا يؤيده دليل محسوس لا يمكن أن يؤدي إلى اليقين الذي تنثلج عليه الصدور، وتطمئن إليه القلوب ."[٢]

إن هذه الطبيعة التي كان عليها العصر الحديث تركت آثارًا فردية على طبيعة التفكير والنظرة إلى الذات فقد "مضت عهود تاريخية كان للتفاهم فيها أساليب قضت بها سنن الاجتماع ،وقد أفادت المسلمين هذه الوسيلة في أول عهدهم ،فدخلت في الإسلام أمم بِرُمَّتها ،ولم يمض عليهم قرن واحد حتى بلغ عدد أتباعه نحو مائة مليون نسمة من شعوب مختلفة، ولكنا في عهد أصبح أقل الناس فيه شأنًا يَحْسِبُ لنفسه وجودًا أدبيًّا ،واستقلالًا ذاتيًّا ،وحرية غير محدودة في الانتقال من دين إلى دين." [٣]

لقد بيَّن فريد وجدي أن العهد الذي عاش فيه كان عهدًا " تغلي فيه الرؤوس في أوربا وأمريكا وآسيا بطلب التجديد والوقوف على الحقائق الناصعة ." [٤]

) المرجع السابق جـ١ صـ ١٤٥(

) الإسلام تحرير الفكر الإنساني،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ٢٥٤(

(3) الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية ،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ٥

(4) المرجع السابق صـ ١٥

وعن نظرة أهل عصره للدين وحقائقه يقول : " أصبح يعز على المعاصرين أن يجعلوا للدين أو لما يتصل به سلطانًا على مناهجهم العلمية، وأضحى من لا يكون على أقصى حد من حدود الحرية الفكرية غير جدير بالثقة لتقيده بآراء يَعُدُّها مقدسة، ويحاول أن يُخضع كل حقيقة لسلطانها، ونحن نعذرهم في هذا الشعور لأنهم لا يعرفون الإسلام ولا يدرون أنه سنَّ منهاجًا للبحث عن الحقائق ليس وراءه مرمى ." (١)

وإذا كان من خصائص الإطار الزمني الذي نشأ فيه وجدي شيوع النزعة الشكية في العقائد والأديان والمعارف فإن من خصائصه كذلك اتساع المعارف العلمية بما لم يحدث له نظير قبل ذلك، فإن " العلم الحديث لم يكن مجرد بوابة كبرى انفتحت لتنطلق منها ظاهرة العلم انطلاقةً عظمى، ويتسارع تقدُّمُها معدلاتٍ لا عهد للبشر بها من قبل، بل كان العلم الحديث أيضًا من زاوية العقل، ومن زاوية الواقع على السواء مستوى جديداً ومغايراً من مستويات وجود الإنسان في هذا الكون."(٢)

وفريد وجدي إزاء هذه الخصوصية الزمانية كان لا بد من بناء عرضه للإسلام عرضًا يوافق هذه الخصوصية؛ لذا كان التعاطي مع الإشكاليات، ومناقشة الإيرادات بلسان عصري الغاية العظمى من مشروعه الفكري

" وأريد من هذا العمل الشاق إقامة صرح مشيد للدين الإسلامي في هذا العصر الذي اشتُهر بزعزعة أركان الأديان، وهدم صروحها، وتقويض أساطين المعتقدات، ونسف قصورها ." (٣)

) نقد كتاب الشعر الجاهلي ،مُحَمَّد فريد وجدي، تحقيق: حسن نجار مُحَمَّد،ص٣٣، مكتبة الآداب القاهرة ط٣ 1((٢٠٠٨)

(2) فلسفة العلم في القرن العشرين د: يمنى طريف الخولي ص٥٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب (٢٠٠٩م)

) الإسلام في عصر العلم ، مُحَمَّد فريد وجدي جـ١ صـ ٣١١3(

لقد كان فريد وجدي يرى أن هناك ضرورة ملحة لتحقيق الجاهزية لدى العقل المسلم لعرض الإشكالات الفكرية عرضًا علميًّا، والقيام بمناقشتها، خاصة وأن أرباب المذاهب الفكرية الفاسدة يقومون بذلك نصرةً لمذاهبهم

يقول وجدي : " هذا هو مؤدى المذهب المادي الذي افتُتِن به الناس قرنين كاملين، وهم ما افتتنوا به إلا لأنه أعدَّ لكل مُعضِلة حلًّا خلابًا، وأرصد لكل سؤآل جوابًا." (١)

وحين كان من خصائص العصر الحديث التسلط الثقافي للفكر الغربي على الشرق الإسلامي، فقد أنتج هذا التسلط طائفة من الشبهات المثارة حول الحقائق الدينية، تلك الشبهات التي تطلبت مسلكًا خاصًّا في التعاطي معها

" ما يجب أن يُكترث له أشد الاكتراث، ويُراقَب أثاره مراقبة دقيقة فهو التطور العلمي الذي تُحدثه الأعصاب المتهيجة هناك من وضع المبادئ المتطرفة، وبناء الأصول الشاذة، وسريانها إلينا من طريق نقرؤه من جرائدهم ومجلاتهم وما يُترجم في جرائدنا من أفعالهم وأقوالهم، فتتأثر بها النابتة الإسلامية، وتشب متشبعة بها أيما تشبع، ظنا أنها مقررات علمية وتجديدات اجتماعية، فتعمل على أن تجري على سنتها لتلحق بالقافلة الإنسانية في سعيها الحثيث نحو المثل العليا ." (٢)

ويعطينا فريد وجدي مثالًا لفكرة واحدة من الأفكار التي تسلطت من خلالها المعرفة الغربية على بيئاتنا الإسلامية راصدًا لنا من تداعياتها ما يُظهرها في مظهر النسق الفكري المتكامل، وهي فكرة التطور

) على أطلل المذهب المادي،محمد فريد وجدي جـ١ صـ ٤ ،مطبعة دائرة معارف القرن العشرين (١٩٢١م)1(

) الإسلام وتحريرالفكر الإنساني،محمد فريد وجدي صـ ١٨٨ 2(

" يقرأ هؤلاء المتعلمون من كتب الغرب ما يستدلون به على أن الإنسان مُسْتَرْق من سلسلة حيوانية، وأن بينه وبين القردة والكلاب قرابة أصلية، فتُكشط من أذهانهم بسبب هذه الشبهة الواحدة كثير من المدركات الدينية في أصل الخليقة ومنابع الأخلاق، ووجود النفس وخلودها، وحقيقة الفضيلة، وليسوا من العلم بمكانة يستطيعون معها النظر في أدلة أولئك القائلين ومحاكاتها، فتلتات أفكارهم بشُبَه لا يجدون أمامهم من أكثر القُوَّام على العقائد رجالًا نصبوا أنفسهم لتحليل أمثال هذه المسائل التي طمَّ به العلم العصري ." [1]

إذا كان الفكر حركة عقلية لا تجري في التاريخ مستقلة[2] فإن الإطار الزمني الذي عاش فيه وجدي كان بلا شك له خصوصيته في التأثير على مجرى أطروحاته الفكرية والبدء بما يمثل أولويات في الطرح.

النقطة الثالثة : التفريق بين الرغبة النفسية المجردة والمعرفة الحقيقية

وفرَّق وجدي بين مجرد وجود الرغبة النفسية أو الاندفاعة العقلية تجاه قضية ما من القضايا وبين المعرفة الحقيقية لهذه القضية، تلك المعرفة التي تتطلب أول ما تتطلب الإجابة على الإشكاليات والتسآؤلات

" هذا الاندفاع من الطبيعة البشرية وراء تلمس العقيدة النقية المبرأة من كل الشوائب الوهمية والفروض الظنية تُعَدُّ من أكبر مميزات القرن التاسع عشر، فقد أصبحت الشغل الشاغل لأساطين العلماء في البلاد المتدمنة لارتباطها بمستقبل الشعوب تمام الارتباط ...ولكن من أي الطرق توجه العقل الحاضر إلى حلِّ هذه المسألة السامية ؟ ومن أي المنافذ تسري إليها أشعة الأفكار

) الإسلام في عصر العلم ،مُحَمَّد فريد وجدي ،جـ١ صـ ١١٣(

) تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون،عمر فروخ صـ٧،دار العلم 2(
للملايين،بيروت،لبنان،ط٤(١٩٨٣م)،وقد كشف مؤلف الكتاب عن شواهد تاريخية كثيرة تدلل على هذه الجملة خاصة لدى الغزالي وابن رشد.

المبرأة من خطرات الوساوس ؟ وعلى أي دعامة يرتكز التصور للصعود إليها ؟ " (١)

النقطة الرابعة: الإشكاليات والأديان

قد أبان فريد وجدي أن من عوامل سقوط الكثير من الأديان تحت ضغط التطور المعرفي عدم قدرتها أو عدم إرادتها التعاطي مع تلك الإشكاليات وغلق الباب منذ البداية، بل جَعْل التعاطي مع أيٍّ من الإشكاليات الي يطرحها العقل إعلانًا للخروج عن هذا الدين، أمَّا الإسلام فكان تناقضه مع هذا المسلك أبرز خصائصه؛ لذا ارتأى وجدي أن التجديد الحقيقي لهذا الدين هو الكشف عن جاهزيته للتعاطي مع هذه الإشكاليات التي يفرضها العقل البشري مثل:

" ما هي مَحَجَّة هذا الدين ؟ وما هي حُجَّتُه التي يعتمد عليها حيال الأمم

والبشرية ؟

وهل كان للناس به حاجة ؟ وهل لا تزال هذه الحاجة داعية إليه أم جاء ليزيد عدد الأديان واحدًا ويوسع شُقَّة الخلاف بين المتدينين، وقد بلغوا منه الحدَّ الذي ليس وراءه مذهب لمستزيد ؟ " (٢)

ولقد كان لإيمان فريد وجدي بضرورة تنقية العقلية الإسلامية من الإشكاليات، خاصة تلك المتعلقة بدعائم هذا الدين وقضاياه الكبرى رأيناه يحتاط لذلك أشد الاحتياط، حتى نحا منحى الاستقصاء في نقد جوستاف لوبون في حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن تركه وشأنه في هذا

1( ) الإسلام، رسالة بقلم مسيو هانوتو وردٌّ عليها، محمد فريد وجدي صـ ٥٢، ، الرسالة مودعة بدار الكتب المصرية (معارف)

(2) المرجع السابق صـ ٣٠

الأمر سيوجد طائفة من الشبه والإشكاليات خاصة في أذهان الناشئة الذين لم يتمرسوا على قرآءة مثل هذه الكتب الغربية قرآءة تحليلية نقدية

يقول وجدي : " ولما كنا بسبيل وضع سيرة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ،وقد تُرجم كتاب الدكتور جوستاف لوبون إلى العربية، فنرى من مكملاتها أن نناقشه الحساب فيما ذهب إليه من تحليلاته الاجتماعية تفاديًا من أن نُعَرِّض أكثر ما قررناه فيها للنقد، فإن كتاب الدكتور لوبون سوف ينتشر بين المسلمين، ويقرؤونه، وسوف يفتتن كثير منهم ببهرجه العلمي فيرون في البعثة المحمدية وفي آثارها العالمية رأيًا ماديًّا بحتًا، فتفقد قصة الإسلام أقوى مستنداتها، ويخرج قراؤه من كل ذلك بشبة مستعصية لا مناص منها تتعلق بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم ." (١)

بل إن فريد وجدي كان يسلك أكثر من سبيل لعرض المزيد من هذه الإشكاليات والرد عليها حتى حمله ذلك على تأليف مقاماته الأدبية المعروفة بالوَجْديات والتي يقول فيها :

" فقد تخيرنا لبسط الآراء الفلسفية والمنازعات الاعتقادية من التعبير ما كنا لا نتكلفه لو دُعينا لبسط أمثالها في العرض العادي، وما ذلك إلا لتَسْهُل قراءتها ويسوغ تكرارها ." (٢)

النقطة الخامسة : آلية طرح الإشكاليات ومحددات حلها

بالرغم من التأكيد المتوالي من قِبَلِ فريد وجدي على محورية النقاش حول الإشكاليات وطرحها على ساحة الدرس والبحث إلا أنه أكد كذلك على الأسلوب الأمثل الذي تتحقق به هذه الميزة الفكرية

) في الرد على الماديين،محمد فريد وجدي صـ ١٣٧(

(2) الوجديات ،مقامات محمد فريد وجدي، حققها، وقدم لها د:محمد عبد المنعم خفاجي ،د: عبد العزيز شرف،صـ٤٤، دار الكتاب اللبناني ط١(١٩٨٢م)

" لسنا ممن يرى الحجر على مطلق الدعوة للمذاهب المختلفة؛ فإنه لما كانت الحقيقة بنت البحث، وكان ترقي الإنسان مُعَلَّقا على إدراكه للحقائق كان مما يعطل ترقيه منع الناس التناقش فيها والتفاهم عليها، ولكن الأمر الذي يتنافى وهذه الحاجة أن يسلك المتباحثون طريق المغالطات، والمماحكات، والمماحلات، فإن هذا الأسلوب يؤدي إلى المنابذات والمهاترات، فتضيع الحقائق في هذه الحالات النفسية، وتبقى آثار الخصومات بين المتعايشين في بلد مثارًا للفرقة والقطيعة بينهم ." (١)

وإذا كان التعاطي مع الإشكاليات يمثل ضرورةً من ضروريات المنهجية الفكرية، فإن هناك محددات لهذا التعاطي من أبرزها ألا يترتب على حل هذه الإشكاليات إثارة لمزيد من الإشكاليات ؛ لذا فقد كان من أوجه النقد التي وجهها فريد وجدي لإسماعيل أدهم صاحب رسالة (لماذا أنا ملحد) أنه أراد أن يتخلص من دعوى تثير إشكالية إلى دعوى تثير العديد من الإشكاليات

" الذي حفز كاتب الرسالة لأن يدفع بنفسه إلى المهمه من الخيال المحض ،هو أن يتفادى ما يلزم القائلين بوجود النواميس الأزلية المحكمة من الإيرادات، فقد قيل لهم: إن ما تقررونه من وجود تلك النواميس الرياضية المحكمة ملازمة للهيولى الأولية هو مظهر الحكمة الإلهية وإلا فكيف يُعقل وجود قوى منتظمة تؤدي إلى كائنات غاية في الإبداع دون أن يكون وراءها عقل أوجدها ؟!!!

أراد صاحبنا أن يتقي هذه الإيرادات، فقفز قفزة خيالية باحتة يَرِدُ عليها من الاعتراضات أكثر مما يرد على تلك، ويكون موقف المنابذ لها أشد حصان ومنعة من موقفه حيال جميع النظريات الإلحادية مجتمعة ." (٢)

) الإسلام وتحرير الفكر الإنساني،محمد فريد وجدي صـ ١٨١(

) لماذا هو ملحد،محمد فريد وجدي،مجلة فصول: العددان ٨٥،٨٦ ربيع صيف ٢٠١٣صـ٢٤١١(

النقطة السادسة : أنموذج تطبيقي للتعاطي مع الإشكاليات

لم يكن فريد وجدي يؤسس نظريةً للتعاطي مع الإشكاليات دون أن تجد لها المسار التطبيقي في مشروعه الفكري، بل كان لهذه الرؤية التنظيرية العديد من تلك المساقات العملية، ومن هذه النماذج حديثه عن الإشكالية المتعلقة بموقف الإسلام من الرِّقِّ طارحًا تساؤلًا كثيرًا ما صدَّرته دوائر البحث الغربية ومن تأثر بها من الكتاب الشرقيين

طرح الإشكال

" هنا يُحتمل أن يسألنا سائل فيقول: إذا كان الإسلام كما ذكرت قبلُ لم يحصل مثله في تاريخ البشر بأسره ... فلماذا لم يقرر إبطال الرق ومحوه؟

فهل كان إبطال الرق أشد صعوبة من إبطال الأوثان ؟ " [١]

إذا فمحل الإشكال هنا هو العلة في عدم تحريم الإسلام للرق رغم ما يبينه علماؤه من رُقِيٍّ في التعامل مع الرقيق بكافة أوجه هذا التعامل.

حل الإشكال

يجيب وجدي عن هذا الإشكال فيقول :

" فنجيب أن الإسلام دين عام لم يأت إلا لأجل أن يُتَّبَع ويُسار بحسب تعاليمه، ولا يصح ذلك إلا إذا كانت أوامره ونواهيه ملائمة للطبيعة البشرية التي فُطر الناس عليها، ومناسِبة للبواعث والأميال الإنسانية التي لا مفرَّ من التأثر بتأثيراتها، ومشاكِلة للنواميس السائدة على الجمعية الآدمية ." [٢]

) المدنية والإسلام، محمد فريد وجدي صـ ١١٢٥(

) المرجع السابق صـ ٢١٢٥(

لقد بيَّن وجدي أن هذه المسألة يجب ألا نناقشها في إطار تجزيزي، بل يجب رؤيتها في الإطار الكلي الذي يقف وراء تشريع الإسلام للأحكام، ولا شكَّ أن من مفردات هذا الإطار الكلي مناسته للطبيعة البشرية، ومشاكلته للنواميس التي تسود المجتمعات الإنسانية.

وحين كانت هذه الإشكالية مثارةً بشكل أساسي من قِبل دوائر البحث الغربية برهن وجدي على تعليله هذا بشاهد من التاريخ الاجتماعي الغربي ذاته فقال :

" إن نواميس الحرية والمساواة لم تُشرق على أفق بعض ممالك أوربا ائتمارًا بقول فيلسوف، أو إجابةً لنصيحة حاكم، كلا بل تَقَدَّم ذلك مناسبات ومقدمات ومقتضيات هيأت جسم الهيئة الاجتماعية إلى قبول شكل آخر غير الشكل الذي كانت به ." [١]

إن ملخص هذا المرتكز من مرتكزات بنية التفكير لدى وجدي أن هناك محورية لمسار التعاطي مع الإشكالات في تكوين بنية تفكيرية منضبطة، بل يمكن القول بأنها تمثل إحدى شروط ثلاث للإنتاج الثقافي والحضاري

" نرى أن ثَمَّةَ ثلاثة مطالب أساسية لا بد للثقافة من الكشف عنها واعتبارها شروطًا لا غنى عنها لدفع عملية التنمية باتجاه الأمام

الأول : هو تحديد المتناقضات الأساسية القائمة في المجتمع العربي الراهن.

والثاني : تحديد شروط الإنتاج الثقافي ذاته.

والثالث: تحديد الشروط المادية والاجتماعية والسياسية الكفيلة بتجاوز التخلف من جهة والسير في طريق التنمية ." [٢]

) المرجع السابق صـ ١١٢٦(

) أزمة العقل المسلم،د: عبد الحميد أبو سليمان صـ٢٧٢(

لقد ظلَّ فريد وجدي طِيلة عرضه الفكري لا يجد حرجًا من طرح الإشكالية تلو الإشكالية، ثم القيام بحلِّها، وبيان مسلك الإسلام تجاهها، فاستطاع أن يكشف عن جاهزية الإسلام لمسايرة أيِّ من وثبات الفكر البشري وحركات نهوضه مهما أنتجت من إشكاليات أو أثارت من تساؤلات. بل كان تبنيه هذا المسلك سببًا في سعة صدره لكل رأي يخالفه مهما حمل من تَحَدٍّ فكري.

المطلب الرابع

المرتكز النقدي

النقطة الأولى : محورية النقد في البناء الفكري

إن الناظر في تراثنا الإسلامي يجد أن هناك ركائز قد ضمنت له حيويته الممتدة عبر قرون متوالية، ويأتي النقد ليشكل إحدى أعظم هذه الركائز؛ حيث امتد إلى مختلف المجالات المعرفية، وكان ضمانةً من ضمانات بقاء مِشعل التجديد في المسيرة المعرفية للأمة.

إننا " نجد النقد معبِّرًا عن الحركة لا السكون ،معبِّرًا عن التجديد لا التقليد،معبِّرًا عن الثورة لا الجمود." (١)

إن النقد إذا صحت منطلقاته، وانضبطت مساراته يُعَدُّ ركنًا ركينًا في بنية الإصلاح الديني، فإذا كان الدكتور محمد البهي يقول مبينًا مفهوم هذا الإصلاح :

" نعني بـ"الإصلاح الديني" في مجال الإسلام.

– محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية، ورفع ما أُثير حولها من شُبَه وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين.

– ونعني به كذلك محاولة السير بالمبادئ الإسلامية. من نقطة الركود التي وقفت عندها في حياة المسلمين، إلى حياة المسلم المعاصر، حتى لا يقف مسلم اليوم موقف المتردد بين أمسه وحاضره؛ عندما يصبح في غده." (٢)

---

(1) المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد،د:عاطف العراقي دار المعارف،صـ ١٨ ط٢(١٩٨٤م)

(2)الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ،د: مُحَمَّد البهي صـ ٣٢٩، مكتبة وهبه ط١٠

إذا كانت هذه هي مفردات الإصلاح الديني فإن النقد سبيل لا غنى عنه في تحقيقها؛ لذا رأينا النقد مرتكزًا من مرتكزات بنية التفكير لدى فريد وجدي مُنطلِقًا فيه من إرث فكري ممتد عبر التاريخ الإسلامي أفصح عنه قائلًا :

" وقد نشأ في هذه الأمة عدد لا يُحصى من العلماء والحكماء فلم يقل واحد منهم: خذوا بما أقول لا تنظروا فيه ،بل قالوا كلهم كما قال مالكٌ: ما من أحد إلا وهو مأخوذ منه ومردود عليه إلا صاحب هذه الروضة يعني النبي صلى الله عليه وسلم ." (١)

ويقول أيضًا : " فإذا كانت مهمة العلم أن يبحث عن الحقيقة وأن يجدها فليس أضر عليه من أن يتخيلها في رأي من الآراء ويجمد عليه ." (٢)

ولقد بيَّن فريد وجدي أن إظهار الحقائق لا يكفي فيه مجرد إيراد الدلائل عليها، بل لا بد من نقد ما يخالفها وإبطال الحجج المتَوهَّمة؛ لأن بقاءها دون إبطال ربما يُلقي عليها مظهر الحقائق

" رأى القارئ مما كتبناه في الفصل السابق أننا دلَّلنا على أن الدين الحق هو المثل الأعلى لمدنية فاضلة جديرة بالنوع الإنساني الكريم، وسلكنا للوصول إلى هذه النتيجة طريقًا واضح المعالم لا ينكره متأمل، ولكننا في هذه التتمة نريد أن نبلغ هذه الغاية عينها باقتحام معاقل الآراء المخالفة، وشق طريق لهذه الحقيقة

---

1) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة،شمس الدين أبو الخير مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد السخاوي، تحقيق: مُحَمَّد عثمان الخشت رقم(٨١٥)، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط١(١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م)، وورد هذا القول قبل الإمام مالك، فقد أورد البخاري في كتابه (القرآءة خلف الإمام) صـ١٤ قول ابن عباس، ومجاهد: " ليس أحد بعد رسول الله ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ (جزء القرآءة خلف الإمام ، مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ،حققه وعلق عليه: الأستاذ فضل الرحمن الثوري، راجعه: الأستاذ مُحَمَّد عطا الله خليف الفوحباني، ،المكتبة السلفية، ط١،(١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م)

2) على أطلال المذهب المادي،مُحَمَّد فريد وجدي جـ١، صـ ١١٥(مرجع سابق)

الكبرى من خلال خطوطها الدفاعية مثيرين بذلك كل ما عندها من قوى وأسلحة ليكون نجاحنا في تطويقها بمعونة الله دليلًا عمليًّا على أن تلك القوى المعارضة لا تقوى على حماية مواقعها فإذا لم نفعل ذلك خشينا أن يبقى في بعض النفوس بقية من المزاعم السابقة ." [١]

ولكن تبني الملكة النقدية ليس بالأمر الهين خاصة مع قِدَم الموروث وإلْفه

" يشق على كثير من الناس أن يشك فيما كان يَعُدُّه من العقائد المقررة سنين طويلة ،وأن يُسَرِّي على كل ما قرأه في كتب الأدب أسلوبًا من النقد قد لا يُبقي فيه ولا يذر، ولكن التبعة التي يشعر بها حَفَظَة الأدب وحَمَلة أمانته تضطرهم إلى تمحيصه وتحرير مسائله وإن كره ذلك الناس أجمعون ." [٢]

إن هذه التبعة هي التي أثْرت ملكة النقد لدى فريد وجدي، وجعلت منها علامة بارزة في مشروعه الفكري، دخل من خلالها غمار المساجلات الفكرية مع معاصريه خاصة وأن تلك المساجلات كانت طابعًا لعصره، ويكفي أن نطالع ما كتبه الأستاذ أنور الجندي عن تلك المساجلات في كتابه (المساجلات والمعارك الأدبية) لنعلم إلى أي حدٍّ كان اتساعها؛حيث ذكر الجندي في هذا الكاب سبعًا وخمسين معركة اشترك فيها ثلاثةٌ وثلاثون مُفَكِّرًا، طالت مجالات الفكر والتاريخ والحضارة؛ حتى قال: " ويمكن القول إنه لا تُوجد قضيَّةٌ ذات بال مرَّت في حياة الفكر العربي المعاصر إلا وقد احتوتها هذه المجموعة المتكاملة من المساجلات ." [٣]

والمتتبع لخارطة التأليف لدى فريد وجدي يدرك إلى أي حد مثَّل النقد ركنًا ركينًا من النتاج الفكري له، ومن أبرز ذلك ما يلي :

) مهمة الإسلام في العالم،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ١٢٢٦(

) نقد كتاب الشعر الجاهلي،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ٢٤(مرجع سابق)2(

(3) المساجلات والمعارك الأدبية،أنور الجندي،صـ ٤ ،مكتبة الآداب (٢٠٠٨م)

(١) تفنيده للفكر المادي

حين مثَّل المذهب المادي واحدًا من أبرز التحديات الفكرية في القرن العشرين كان له النصيب الأكبر في تلك الحركة النقدية التي قام بها فريد وجدي، ويأتي كتاب (على أطلال المذهب المادي) ليمثل ردًّا علميًّا منهجيًّا على هذا الفكر؛ حيث نقد فيه كل ما نادى به أرباب هذا الفكر، وتوسَّع في إيراد الأقوال التي خرجت في الغرب تحذر منه.

(١) نقده لرسالة المسيو هانوتو عن الإسلام

حين ألف المسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا في هذا العهد رسالة بعنوان(الإسلام) نشرتها جريدة الجورنال الفرنسية، وترجمته عنها جريدة المؤيد في أبريل(١٩٠٠م) انطلق فيها من بحث مغرض للمسألة الإسلامية وعلاقة الإسلام بالمدنية، وطبيعة المجتمعات الإسلامية، وقد قام الإمام محمدعبده بالرد عليه كذلك، وتم نشر الردين معا في رسالة واحدة.

(٢) نقده لرسالة اللورد كرومر حول الإسلام

كان للورد كرومر ادعاءآت صدرت من هوى ذاتي وضعف علمي دارت حول اتهام الإسلام بأنه لا يمتلك نظامًا اجتماعيًّا رصينًا، واسشهد بضعف المسلمين على ضعف الإسلام، فرد عليه محمد فريد وجدي ردًّا علميًّا نشرته تباعًا جريدة الدستور التي كان يترأس تحريرها، ثم طُبِع الرد كاملًا عام (١٣٢٦ هـ. ١٩٠٨م)

(٣) نقده لكتاب (لماذا أنا ملحد)

وكان من بين تلك الردود العلمية كذلك نقده لرسالة (لماذ أنا ملحد) للدكتور إسماعيل أدهم؛والتي نحا فيها منحى القول بأن الصدفة هي العلة الوحيدة لنشأة هذا الكون، وقد ردَّ عليها فريد وجدي برسالة (لماذا هو ملحد)

(٤) نقده لكتاب (المرأة الجديدة)

وحين ألَّف قاسم أمين كتابه(المرأة الجديدة)، وذكر فيه من الآراء التي ارتأها كثيرون . ومنهم فريد وجدي . أنها آراء غريبة على المجتمعات الإسلامية لا تعكس سوى مجاراة مزعومة لما عليه الغرب ألَّف فريد وجدي كتابه (المرأة المسلمة)، وحاول وجدي أن يُثبت في هذا الكتاب أن ما ذكره قاسم أمين ليس الرأي المعتمد عند مفكري الغرب، ونقل أقوالًا كثيرة لأشهر مفكري الغرب يحذرون فيها من الحال التي وصلت إليها المرأةُ لديهم.

وينغي أن يُعلم أننا لا نحكم هنا بصحة كل ما وجَّهه فريد وجدي لقاسم أمين في رؤيته تلك[١] ، ولسنا في معرض مناقشته في نقده هذا؛ بل إننا نذكره هنا كموطن من مواطن نقده المتعددة.

(٥) نقده لكتاب الشعر الجاهلي

وشارك فريد وجدي كذلك في واحدة من أشرس المعارك الفكرية التي عرفها الفكر الإسلامي الحديث، وهي المعركة الي أثارها الدكتور طه حسين بكتابه (في الشعر الجاهلي) [٢]، فألَّف وجدي كتابه(نقد كتاب الشعر الجاهلي)

(1) لأن هناك توجهًا علميًّا قويًّا يرى أن قاسم أمين لم يخرج في كتابيه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) عن الرؤية الإسلامية للمرأة، وأن حالة الالتباس التي حدثت في تأويل كلامه شارك فيها العديد العوامل، منها الإشكال اللغوي في بعض المفردات التي استعملها قاسم أمين كلفظ الحجاب،ومنها توظيف بعض الاتجاهات لكتابيه توظيفًا بعيدًا عن الوجهة الحقيقية لما أراده قاسم أمين،وعلى كلٍّ فستبقى تلك المسائل محل نقاش واختلاف في الرؤى.

(2) حيث تصدى للرد عليه عدد كبير من العلماء والأدباء منهم : الأمير شكيب أرسلان،والقاضي عباس فضلي،والشيخ مُحَمَّد الخضر الحسين (شيخ الأزهر فيما بعد) ،والأستاذ مُحَمَّد لطفي جمعة،والدكتور مُحَمَّد أحمد الغمراوي،والشيخ مُحَمَّد الخضري ،والشيخ مُحَمَّد أحمد عرفه،هذا بخلاف النقد المستقصي الذي ألفه الرافعي . ينظر (تقديم الدكتور غريب جمعة لكتاب نقد الشعر الجاهلي لمحمد فريد وجدي صـ ٩)

(٦) نقده لأقوال المانعين لترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى

وحين شُغلت الساحة الفكرية بقضية ترجمة القرآن الكريم كان لوجدي نصيب من النقاش حول تلك القضية، فألَّف كتابه (الأدلة العلمية في جواز ترجمة القرآن) ناقش فيه وجدي معظم الإشكالات التي طرحها بعض العلماء حول هذه المسألة.

(٧) نقده لكتاب حضارة العرب

ومع أن كتاب حضارة العرب لجوستاف لوبون يُعَدُّ من أكثر الكتب الغربية إنصافًا للحضارة الإسلامية إلا ان الحسَّ النقدي لفريد وجدي رأى فيه مجالًا للنقد.

وكذلك ردَّ فريد وجدي على خالد محمد خالد في كتابه (من هنا نعلم) ، وعلى الدكتور زكي مبارك، والدكتور هيكل وغيرهم.

إن معنى هذا أنه حين كان الأدب الديني أحد أبرز مجالات الكتابة في مصر والعالم العربي في العصر الحديث لم يكن من المستغرب أن يكون أبرز مجالات النقد التي توجَّه إليها فريد وجدي

" لو كان للأدب الديني تاريخ معاصر يقوم به نقاد اليوم لكان الأستاذ محمد فريد وجدي في رأيهم الناقد الأول في مجال الأدب الديني؛ حيث قضى حياته كلها منذ زاول العلم ناقدًا بارعًا ." [١]

إن معنى ما مضى أن المسار النقدي كان ركنًا ركينًا في المشروع الفكري لفريد وجدي كمًّا وكيفًا

كما : حيث رأيناه يستوعب معظم النتاج الفكري له.

وكيفا : لتطلبه حشدًا للملكات العقلية المختلفة.

) محمد فريد وجدي الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي د : محمد رجب البيومي، ص ١٢٢٧1(

النقطة الثانية : مفردات المنهج النقدي لدى فريد وجدي

إذا كنا قد بيَّنا فيما مضى محورية المسار النقدي في بنية التفكير لفريد وجدي كمًّا وكيفا فإنه يتوجب علينا أن نبحث في معالم المنهج النقدي لديه؛ لأن اكتشاف هذه المعالم يعطينا السند الحقيقي للحكم على مشروعه الفكري عامة وبنية التفكير خاصة .ويمكن استجلاء معالم النقد هذه من خلال ما يأتي :

أولا : بيان الغاية من النقد

ابتدأ فريد وجدي مساره النقدي ببيان الغاية من النقد، ففي نقده لخالد محمد خالد وجدناه يصرح بتلك الغاية قائلًا : " وقد وضعنا كتابًا ناقشنا فيه فضيلة الأستاذ مناقشةً علميةً الغرض منها الوصول إلى الحقيقة لا إثارة المهاترة وعرقلة المساعي التي تُبذل للإصلاح والتكمل ." (١)

وحين توجَّه بالنقد لطه حسين وجدناه يقول : " إني ما كدت أُتِمُّ قرآءة كتاب الدكتور طه حسين حتى وجدتني مدفوعًا لوضع نقد عليه أستهدف به غرضين :

أولهما : مناقشته في المسائل التي تتعلق بتكوين الأمة الإسلامية ولا يتفق حكمه فيها والمقررات التاريخية ولا الأصول الاجتماعية، وأرى الإغضاء عنها ضارًّا كل الضرر بنابتة هذا الجيل وهم في هذا الدور من الانتقال السريع.

وثانيهما : مقابلة أول ثمرات الجامعة المصرية بما تستحقه من العناية، وهذه العناية لا تعني في عالم العلم غير النقد والتمحيص." (٢)

لقد بيَّن فريد وجدي أن الغاية من النقد ليست غاية ذاتية تتوجه نحو الذات، بل هي غاية موضوعية تُعنى بالموضوع، والموضوع هنا متعلق بقضية جوهرية

1( ) اليس من هنا نبدأ صـ١٧ ،مجلة الأزهر،المجلد الثاني والعشرون(١٩٥٠م) صـ١٧

2( ) نقد كتاب الشعر الجاهلي ،محمد فريد وجدي صـ ٢٠

وهي تكوين الأمة الإسلامية،كما بيَّن أن من غايات النقد كذلك إثراء الحياة الفكرية، هذا الإثراء الذي لا يتم إلا بتمحيص أيٍّ من النتاج الفكري الذي تُصدره المعاهد الفكرية خاصة في أطوارها الأولى.

ثانيا : حصر أوجه النقد

من أسس النقد لدى فريد وجدي كذلك حصر الأوجه التي يتوجه إليها النقد، وهذا يتطلب منه نظرة كلية للقضية محل النقد ليكون أكثر قدرةً على التوصل إلى التصنيف العام لأوجه النقد؛ لذا رأيناه في نقده لكتاب الشعر الجاهلي لطه حسين يحصر أوجه الخطأ التي احتواها هذا الكتاب من وجهة نظره قائلًا :

" هذه الحلقات المتصلة من الحوادث التي أثارها هذا الكتاب حفَّزتني إلى الإطلاع عليه، فرأيت فيه أخطاء اجتماعية وبسيوكولجية وفلسفية لا يصح السكوت عليها ." (١)

وفي نقده لكتاب (لماذا أنا ملحد) يحدد فريد وجدي تحديدًا دقيقًا النقطة التي يجب أن تدور حولها حلقة النقد مستبعِدا ما لا يؤثر في نقد الدعوى

" ليس من الحكمة أن نعتمد في مناقشة صاحب هذه الرسالة على إيراد آراء علماء الكون سواء أكانوا رياضيين أم طبيعيين أم فلكيين؛ لأنه يعترف بأن إجماعهم انعقد على أن للكون نظامًا أزليًّا، وأنه جاء على وتيرة رياضية في جميع أدواره ،وأنه منزه عن الخبط والاضطراب في جميع مكوناته ،ولكن الذي يُجدي في هذه القضية هو مناقشة الحساب في مفهوم نظريته وفي الأصول التي أقامها عليها إن كان لها أصول ." (٢)

) انظر : نقد كتاب الشعر الجاهلي،محمد فريد وجدي صـ ١١٨(

) لماذا هو ملحد ، محمد فريد وجدي،مجلة فصول العددان ٨٥،٨٦ ربيع صيف ٢٠١٣صـ٢٤٠٧(

ثالثا : الموضوعية في عرض الدعاوى

من معالم منهج فريد وجدي النقدي الموضوعية في عرض الدعاوى، والتي من أهم صورها ذكر ما أجاد فيه الطرف الآخر، ومن أمثلة ذلك أن طه حسين حين ذكر أنه متبن للمنهج العلمي الذي يتطلب البدء في طلب الحقيقة دون أي من التصورات المسبقة قال فريد وجدي :

" أنا لا أتمالك نفسي من أن أقول صراحة إن هذا الكلام ثمين، ولا أغالي إن قلت إنه أعرق في الإسلام من كل كلام قرأته قبل هذا." (١)

ومن صورها كذلك عرض الدعوى بكامل سياقاتها

يقول وجدي : " سنتنا المتبعة منذ أن عالج أوائلنا الرد على الخصوم هي أن نورد مذاهبهم كاملة غير منقوصة، وأن نعطي كل قوتها معنى ومبنى، ثم نشرع في الرد عليها ." (٢)

حتى في الترجمة يلتزم هذه الموضوعية إلى أقصى حد

" وقد حرصنا على توفية مبدأ الترجممة الحرفية حقه رغما عما في البحث من تسامح في التعبير أَلِفته الفلسفة الغربية وجرت عليه، وهو ديدننا في كل ما ننقله عن الفرنجة ليتبين منه رأيهم الصحيح، ويتضح مرمى ما يكتبون ." (٣)

رابعا : نقد مصدر الدعوى

من أوجه النقد التي تبناها فريد وجدي نقده لمصدرية الدعاوى ومستندها

) نقد كتاب الشعر الجاهلي،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ١٣٢(1

) في الرد على الماديين ،دراسة نقدية لكتاب حضارة العرب د/جوستاف لوبون، مُحَمَّد فريد وجدي صـ ٦١ 2(

) الإسلام تحرير الفكر الإنساني،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ٥٢3(

" لو كان الحكم على أصول الأديان وآداب الأمم يتحصل عليها بما تحصلت عليه من المشاهدات التافهة والمطالعات البسيطة لأصبح كل إنسان عالمًا مؤلِّفًا، ولَضَلَّ الناس وجوه الحقائق، وخبطوا خبط عشواء تقذفهم ضلالة وتردهم خرافة حتى ينتهي وجودهم على أسوأ ما يكون ." [١]

وكان من أقوى أوجه النقد التي وجهها فريد وجدي لطه حسين أنه اعتمد في نتائجه على مصادر غير مُوَثَّقة مما يفقد القيمة العلمية لهذه النتائج

" وألفيت الدكتور . لاضطراره إلى تصيد الأسباب التي حملت ذوي النفوس المريضة على اختلاق الشعر ونسبته إلى الجاهليين قد عوَّل على كتب المحاضرات[٢] وهي قرارة الأكاذيب، ومستنقع المفتريات من كل نوع،." [٣]

خامسا : إثبات عكس الدعوى

كان من منهج فريد وجدي النقدي إثبات عكس الدعوى فتبطل بالتالي تلك الدعوى، فحين أقام خالد محمد خالد علاقة تلازمية بين الغنى المادي وبين الرقي الإنساني نقد فريد وجدي هذه الدعوى بإثبات ما يضادها قائلًا :

" كل الجماعات التي جاهدت لترقية الأوضاع الحكومية والاجتماعية كانت من طبقة الفقراء تحت زعامة رجال من درجتهم ناهيك أن الذين بادروا إلى قبول هداية الأنبياء ووقفوا نفوسهم على نصرتهم كانوا من هذه الطبقة، على

---

1) اللورد كرومر والإسلام ،ردود وملاحظات ،محمد فريد وجدي صـ ١٦ مجموعة مقالات صدرت تباعًا بمجلة الجستور، وطبعت بطبعة الواعظ، ط١ (١٣٢٦ ـ ١٩٠٨م)

2) يقصد فريد وجدي بكتب المحاضرات بعض كتب الأدب التي توسعت في ذكر الأخبار دون سند علمي ككتاب الأغاني للأصفهاني.

3) انظر : نقد كتاب الشعر الجاهلي ،محمد فريد وجدي صـ ٣١٨

حين أن الذين كانوا بالعافية الاقتصادية كانوا يعملون على إبطال هذه الدعايات الإصلاحية بكل الوسائل الإفسادية ." [١]

وحين قال خالد محمد خالد : " العلم قد أثبت أن أخلاق الإنسان ليست شيئًا بعيدًا عن ذاته وتركيبه فليس السلوك البشري كله إلا وليد حالتنا الصحية وحالتنا العقلية .

نقد فريدوجدي هذه الدعوى قائلًا : " ونحن نقول : لو كان الأمر كما يقرره الأستاذ لكان كل صحيح الجسم سليم العقل على أكمل ما يكون من سمو الأخلاق، ولكن قد يكون المشاهد المحسوس غير ذلك، فكم من صحيح الجسم عبقري العقل وهو على أخس ما يُشاهَد من انحطاط الأخلاق، وكم من سقيم الجسم محدود العقل وهو على أرقى ما تتخيل من سمو الخلال وكرم الطباع، وبين ذلك حالات شتى يحار فيها الفكر، ويعجز عن تعليلها العلم ذهب فيها العلماء مذاهب متضاربة ." [٢]

سادسا : نقد التوهم الدلالي

من مفردات المنهج النقدي لفريد وجدي نقده للتوهم الدلالي، هذا التوهم الذي يُعَدُّ من أكثر الأخطاء الشائعة في عملية الاستدلال، ومن أمثلة ذلك نقله لكلام الماديين في إثبات أن الأصل في الإنسان التجسيم لا التنزيه والتعدد لا التوحيد

"" يقول الماديون مما يدل على أن آباءنا الأولين كانوا محدِّدِين مُجَسِّمين لا مطلقين ولا منزهين أن لغتهم خالية مما يدلل على الإطلاق وعدم الحد فلا تجد فيها لفظة (لا نهاية)

1( ) اليس من هنا نبدأ ،،مجلة الأزهر،المجلد الثاني والعشرون(١٩٥٠م) صـ٢٩١

2( ) المرجع السابق صـ٢٩١

ثم نقد هذا الاستدلال قائلًا : " إن خلو اللغة منها لا يدل على عدم وجود معناها على أنها في كل لغات العالم مركبة من كلمتين يمكن تكونها في أثناء التخاطب كقولنا لا نهاية، ولا حد، أو لا غاية، أو لا آخر وهكذا، ومع هذا فإن اللغات القديمة قاصرة عن أشياء كثيرة حتى في المحسوسات فلم يُوجد في واحدة منها الإشارة إلى تدرج الألوان وتداخل بعضها في بعض دون حد، وليس في أغلبها إلا أربعة ألوان فقط الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، فهل يصح أن يُقال: إنهم كانوا لا يعرفون الزرقة من الألوان والسماء فوق رؤوسهم تتألق في حلتها الزرقاء ." (١)

سابعًا : نقد التغاير بين المنهج والموضوع

كشف فريد وجدي في منحاه النقدي كذلك عن أن من أسباب فساد النتائج التغاير بين المنهج والموضوع، فليس كل منهج جديرًا بمعالجة كل موضوع

يقول وجدي : " علوم الإنسان على اختلاف أنواعها، وقواه العقلية على كِبَر سلطانها ليست إلا نتائج تدافع القوة الإدراكية مع هذا العالم الأرضي المتلاشي.

إذا كان الأمر كذلك أليس من الجنون المحض محاولة الوصول بهذا العلم المحدود وذلك العقل القاصر إلى تحديد صفات سر الأسرار الكونية التي لا نهاية لها وإدراك كُنه ذاته العَلِيَّة التي لا حدَّ لها ." (٢)

لذا فإن المنهج الإسلامي ينطلق من رؤية أوسع من ذلك الإطار العقلي في إدراكه للحقائق مرتكزا على الإيمان بالله وعالم الغيب إلى جانب عالم الشهادة. (١)

) الإسلام وتحرير الفكر الإنساني،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ١٣١(

) الإسلام، رسالة بقلم مسيو هانوتو وردٌّ عليها ، الإمام مُحَمَّد عبده ،مُحَمَّد فريد وجدي صـ ٥٥ 2(

ثامنًا: نقده التأويل الخاطئ

حين أوَّل طه حسين رواية نهي عمر رضي الله عنه لحسان بأن ذلك كان تعصبًا منه لقريش، وأن الأنصار كانوا يشعرون بالهضم بيَّن وجدي خطأ هذا التأويل ومصادمته لنفسية الصحابة في ذلك العهد ،وأن التفسير الأوجه أن

"الصحابة كانوا يكرهون الشعر ويعدونه من الملهيات لقوله تعالى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) [٢]

ولقوله تعالى : (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) [٣]

ولا شك أن المراد بذلك الشعر المحظور كقصائد الهجاء والمجون،وأن عمر رضي الله عنه نهى حسَّانًا حتى لا يشتغل الناس بسفاسف الأمور." [٤]

عاشرًا : نقد إخراج الجزئيات من قانونها العام

فحين ذكر طه حسين أن العرب تأثروا بعاملين رئيسين العامل الديني والعامل السياسي بيَّن فريد وجدي أن العرب في ذلك ليسوا بدعا من الأمر إنما هي قاعدة كلية في أحوال الأمم

" فأي أمة من الأمم القديمة والحديثة عَرَضْتَ على عقلك أمورها فلا تجدها تخلو من التأثر بهذين المؤثرين إلا ما يُعرف عن بعض الأمم الأوربية منذ نحو قرن، فإنها بدأت تدفع تأثير الدين عنها، والمراد بالدين هنا رجاله

) انظر : منهج النقد عند المحدثين مقارنًا بالمنهج النقدي الغربي.د: أكرم ضياء العمري ص١١دار إشبيليا 1(ط١(١٤١٧ - ١٩٩٧م)،ومناهج التفكير الموصلة للحقائق الشرعية والكونية،جعفر شيخ إدريس،ص ٥٩مركز البيان للبحوث والدراسات إصدار (٢٢١) (١٤٣٧هـ)

) سورة يس آية (٦٩)2(

) سورة الشعراء آية (٢٢٤)3(

) انظر : نقد كتاب الشعر الجاهلي،مُحَمَّد فريد وجدي ص ١٦٠4(

والقائمون عليه لا الدين نفسه، فالنفوس والعقول لا تزال في شغل شاغل به نفيًا وإثباتًا بحثًا وتمحيصًا ." [١]

حادي عشر: نقده للخلط بين العلل الحقيقية والعلل الظاهرة

كشف فريد وجدي في منهجه النقدي أن من أسباب النتائج الخاطئة التوهم في النظرة إلى أسباب الظاهرة وعللها، والخلط بين كل من العلل الحقيقية وآثارها الظاهرة؛ لذا رأينا من مسارات نقده لدعاوى خالد محمد خالد قوله :

" هذه النظرية تقوم على خطأ كبير لأنها تُخفي الحوافز الحقيقية للنهوض، وتُظهر آثارها بمظهر عللها الأولية ،وهي ليست بها فتزداد خفاءً على العقول، ويزداد الجهل بها تغلغلًا في النفوس فتحق على الأمم الواقعة تحت آثارها صفة العجز فتبقى فيما هي فيه ." [٢]

ويقول أيضًا في هذا السياق : " يعطي الأستاذ مؤلف (من هنا نبدأ) عن المجتمعات العربية صورة مزعجة قاتمة وهو لم يبالغ فيما كتبه عنها، ولكنه عزا ما هي فيه إلى النظام المالي الذي هي عليه، وفاته أنها مصابة بضروب من الأمراض الاجتماعية والأدبية تحول دون تطورها في أدوار التقدم والارتقاء؛ بحيث أنه لو طُبِّقَ عليها أرقى نظام مالي لما غيَّر من سوء حالتها التي هي عليها قيد أنملة، بل ربما أسرع بها إلى الهاوية ." [٣]

وبنفس المنحى النقدي يتوجه فريد وجدي إلى دعاوى طه حسين حيث قال :

" يعتمد الدكتور طه حسين على القرآن نفسه في التدليل على أن العرب كانوا ذوي حياة دينية قوية، يستنتج ذلك من تشددهم في رفض الدين الجديد، وثباتهم

) نقد كتاب الشعر الجاهلي،محمد فريد وجدي صـ ١١٣٩(

) اليس من هنا نبدأ ،محمد فريد وجدي، مجلة الأزهر،المجلد الثاني والعشرون(١٩٥٠م) صـ٥٧٧ 2(

) ليس من هنا نبدأ،محمد فريد وجدي، مجلة الأزهر،المجلد الثاني والعشرون(١٩٥٠م) صـ٣٩٣3(

على دينهم الموروث، وذهابهم إلى الاستعصاء على الدعوة كل مذهب حتى أداهم ذلك إلى الحرب الضروس

ولقد قام وجدي بنقد ذلك قائلًا : " ولو كان تأمل قليلًا في نفسية العرب الجاهلين لرأى هذا الاستعصاء منهم كان حالة اشتركت في أحداثها بضعة عوامل تُعتبر من ممزات الأمة العربية في جاهليتها ."[١]

ثم ذكر وجدي أربعةً من العوامل وهي :

الأولى : "ضعف الحالة الدينية عندهم حيث لم يكونوا على أمر جامع من عقائدهم.

الثاني : إفراط العرب في الفخر بآبائهم والتباهي بمناقبهم.

الثالث: جمودهم على ما كان عليه آباؤهم بغير تعقل ولا اعتمال رؤية.

رابع هذه الأعمال مجيئ الدين من طريق محمد بن عبد الله، وهو وإن كان ذؤابة قريش نسبًا وحسبًا إلا أنه لم يكن من الموسرين المستكثرين

فاشتراك هذه العوامل الأدبية يكفي في تعليل استعصائهم على الدعوة الإسلامية ."[٢]

ثاني عشر : نقد المسلك الفاسد للقياس

وحين كان القياس مسلكًا من المسالك التي لا غنى عنها في عملية التفكير كان لا بد من كونه قياسًا صحيحًا وليس قياسًا فاسدًا؛ لذا رأينا نقد صور من الأقيسة الفاسدة إحدى مفردات المنهج النقدي لفريد وجدي، فحين

---

1) نقد كتاب الشعر الجاهلي، محمد فريد وجدي صـ ١٦٨(

2) المرجع السابق صـ ٢٧٠(

قاس الكاتب الفرنسي أندريه هرفيه الفتوحات الإسلامية بفتوحات جنكيز خان بين وجدي أن هذا قياسا فاسدا لوجود فوارق جوهرية ونقل كلام بعض المؤخين المنصفين كقول جوستاف: " لن ترزق الأرض بفتاحين أكثر رحمة بالمقهورين من العرب المسلمين. ثم قال :

" فهل يصح أن يقارن المسيو أندريه هذه الفتوحات التي كانت خيرا وبركة عن الشعوب بتلك الغارات المخربة." [١]

ثالث عشر : محورية الضابط الخلقي

أرد فريد وجدي أن يفسح المجال لآرائه النقدية لتكون بحججها وبراهينها وآليات إقناعها كفيلة بتحقيق أغراضها؛ لذا لم يَشُبْها بأي من الممحاكات اللفظية التي سادت كثيرًا من صفحات النقد في الحركة الفكرية للعصر الحديث

يقول زكي مبارك :" لقد جادلته مرات على صفحات (البلاغ) فكان لطيفًا رفيقًا، أما أنا فكنت أتلطف وأترفق، والفرق بعيد بين من يرفق ويلطف بالطبع ومن يتكلف الرفق واللطف. "[٢]

وبالرغم مما أثارته كتابات قاسم أمين عن المرأة من ردود علمية ومساجلات سلكت كل سبيل من كتب ومقالات وحلقات نقاش وغيرها فإن فريد وجدي سار في مساره النقدي بعيدًا عن كل هذا الصخب

" بعض الغلاة ممن واجهوا قاسم أمين رحمه الله قد تركوا ميدان الجدل النزيه إلى نوع من السباب والتهكم فلم يُقنعوا القارئ في شيئ؛ إذ ضاعت آراؤهم في لجج التطاول الكريه، أما الأستاذ فريد فقد ضرب المثل الرفيع في عفة النقد

1(مناقشات وردود،مُحَمَّد فريد وجدي،جمعها وراجعها: د: مُحَمَّد رجب البيومي، صـ ١٤٢، الدار المصرية اللبنانية ط١ (١٤١٥ ـ ١٩٩٥م)

2(مُحَمَّد فريد وجدي ،الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي ،د: مُحَمَّد رجب البيومي صـ ٢٢٩

ونزاهته، وبذلك أصبح كتابه مرجعًا علميًّا في قضية المرأة، وصار أعلام الفكر الحديث يرجعون إليه مستشهدين. "[1]

هكذا رأينا لدى فريد وجدي تعددًا في أوجه النقد، وتنوعًا في آلياته استطاع من خلاله أن يخوض كثيرًا من المعارك الفكرية التي شهدها العصر الحديث.

) المرجع السابق صـ١٢٠٩(

المطلب الخامس

نظرة تقييمية عامة

إذا كنا قد حاولنا فيما مضى عرض المرتكزات الرئيسة لبنية التفكير لدى محمد فريد وجدي فليس ذلك لمجرد رسم صورة عن هذه البنية،بل ليأخذ هذا العرض موضعه من بِنى التفكير لدى مفكري الإسلام قديمًا وحديثًا،ولن يكون ذلك سوى بنظرة تقييمية لهذه البنية ،والتي تأتي من خلال النقاط التالية :

النقطة الأولى : مما يُحسب لفريد وجدي أنه استطاع من خلال بنيته التفكيرية هذه ترسيخ اتجاه فكري يمكن أن نطلق عليه الاتجاه العلمي،ذلك الاتجاه الذي يهتم بالعلوم التجريبية،ويجعل منها سبيلًا من سبل إثبات الحقائق الدينية، واكتشاف الحِكَم في آيات الله الكونية المسطورة والمنظورة، والذي يُعَدُّ من رواده كذلك الشيخ طنطاوي جوهري، والدكتور الغمراوي وغيرهما.

وبالرغم من أن هذا الاتجاه قد فرضته الخصوصية الزمنية للقرنين التاسع عشر والعشرين إلا أنه كان بعثًا لاتجاه راسخ في التراث الإسلامي. [1] أدى دورًا كبيرًا في التأكيد على العلاقة القوية بين الإسلام والعلم.

النقطة الثانية : إن من يطالع النتاج الفكري لفريد وجدي يجد وحدة موضوعية لهذا النتاج تجعل له حالة من الاتساق،وهذا ناشئ في الأساس من أمرين :

الأمر الأول : وضوح الهدف العام من التأليف،ويمكن القول بأن هذا الهدف تمثَّل في تقرير جدارة المنهج الإسلامي، هذا التقرير الذي تطلب إلمامًا عامًّا بخصائص هذا الدين،والتأمل في الأنموذج التطبيقي الأول له، حيث عهد

1(أورد الشيخ الذهبي بعضًا من النماذج لهذا الاتجاه في تراثنا الإسلامي كالإمام الغزالي،وأبي الفضل المرسي.انظر : التفسير والمفسرون ،الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، جـ٢صـ٣٤٩ ،مكتبة وهبة، القاهرة،

القرون المفضلة في الإسلام،ثم الوعي بكافة الإشكاليات المتعلقة به،واخيرًا مناقشتها مناقشة علمية رصينة.

الأمر الثاني : ثبات بنية التفكير التي جعل منها فريد وجدي آلياته للإنتاج الفكري؛ حيث لم يكن فريد وجدي من تلك الشخصيات التي شهدت تطورًا فكريًّا عنيفًا خاض من خلاله غمار اتجاهات فكرية متناقضة المنحى، بل كان هناك استقرار كبير أوجد اتساقًا ملحوظًا في نتاجه الفكري.وبالرغم من أن التطورات الفكرية لدى المفكر قد تفتح له ولنا آفاقا فكرية أرحب إلا أنها في الوقت ذاته تُعَدُّ عاملًا من عوامل الاضطراب في الفهم العام لهذا المفكر .

إن معنى هذا أن رصد القواسم العامة لفكر فريد وجدي يخلو من تلك التناقضات التي قد نراها عند كثير من المفكرين، حيث يقع التباس في تصورها هل هي من باب التناقض الفعلي الذي يُعَدُّ من أخطاء التفكير الشائعة، أم أنها تمثيل لأطوار فكرية مختلفة باختلاف سياقاتها الفكرية والزمنية والمكانية.

النقطة الثالثة : لا شكَّ أنه كان لفريد وجدي اتساع معرفي أعطاه منحى تفضيليًّا في مناقشاته العلمية حين كانت تتطلب نوعًا خاصًّا من المعارف العصرية لم تتحصل عند كثير ممن تصدروا للحديث عن الإسلام إلا أن هناك أمرًا قد أثار جدلًا في هذا التكوين المعرفي لفريد وجدي، وهو مدى رسوخه في العلوم الدينية رسوخا يُمَكِّنه من مناقشة المسائل الشرعية الخاصة عقدية كانت، أو فقهية، أو حديثية ..إلخ

إن هذه القضية قد أوجدت موقفين في التعامل معها:

الموقف الأول : جعل منها قضية كبرى كفيلة بأن تُفقد الثقة بكل ما كتب فريد وجدي كما قال الشيخ رشيد رضا مثلًا منتقدًا على فريد وجدي بعض ما كتبه من مواد في كتابه (كنز العلوم واللغة)

" أخطأ فريد أفندي وجدي فيما كتبه في لفظ (حديث) أنواعًا من الخطأ، تدل على أنه لا ثقة بنقله وروايته، كما أنه لا ثقة بفهمه ورأيه." [١]

ومن تلك الأخطاء التي ذكرها رشيد رضا " تعريفه الحديث في الاصطلاح، بقوله: (والحديث في الاصطلاح، أُطْلق على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلام) ،وهذا غير صحيح، وهو يدل على أنه لم يتلق، ولم يقرأ شيئا من كتب الحديث مطلقًا، أو قرأ شيئًا قليلًا لم يفهمه، والصواب أن الحديث في اصطلاحهم ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولًا، أو فعلًا، أو تقريرًا، أو صفة." [٢]

المسلك الثاني : من دافع عن فريد وجدي دفاعًا ينطلق من الإيمان بالدور الكبير الذي أداه وجدي في مسيرة الفكر الإسلامي الحديث كما نرى في كلام الدكتور رجب البيومي؛ إذ أورد دعوى من يقرر أن فريد وجدي لم يتضلع من علوم التراث الإسلامي ثم قال:

" هذا بعض ما يقولون ،وكل خطأ يحتاج إلى صواب،لأن من يقرأ كتب الأستاذ وجدي ومؤلفاته يرى أنه قد درس الإسلام في أصوله الأولى دراسة مستوعِبة،وبَعُد عن الكتب التي عابها الأستاذ محمد عبده فيما ذكرنا من قبل،لم يقرأ كتب المتون والشروح والحواشي والتقارير التي قرأها مئات العلماء ،ثم عجزوا عن أن يدافعوا عن الإسلام بلسان العصر،فلم يضيفوا إليه ما يُقنع خصومه بما يقولون،ولكنه قرأ كتب الأئمة السابقين الذي أمتع بهم الزمن

) الإسلام في عصر العلم ، محمد فريد وجدي جـ١ صـ 111(

) مجلة المنار، عدد رجب – ١٣٢٥هـ، سبتمبر – ١٩٠٧م،المجلد العاشر ،صـ٥٤١ 2(

الغابر في أزهي العصور،وأضاف إلى ذلك ثمارًا شبيهة بما قرأ من العلوم المستحدثة في التربية والاجتماع والاقتصاد والسياسة وعلم النفس." [1]

بعد عرض هذين الموقفين في التعامل مع هذه القضية أرى أن هناك أمرًا محوريًّا ينبغي استحضاره في حالة الجدل هذه، وهو الوعي بطبيعة الدور الذي يقوم به كل مفكر، ففريد وجدي لم يكن هدفه الأساسي تأليف كتب متخصصة في العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وأصول،ولا كان من أصحاب الحِلَق العلمية التي تُدَرِّس كتب التراث الإسلامي، بل كان هدفه الأصلي كما قال:

" إقامة صرح مشيد للدين الإسلامي في هذا العصر الذي اشتُهر بزعزعة أركان الأديان، وهدم صروحها، وتقويض أساطين المعتقدات، ونسف قصورها ". [2]

إن معنى هذا أنه كان متوجهًا إلى الكشف عن حقيقة الإسلام لا كما ادعى ألبرت حوراني من أنه كان من " ذوي النزعة الجدلية الذين حرصوا على الدفاع عن سمعة الإسلام أكثر مما حرصوا على اكتشاف حقيقته وتوضيحها." [3] ، بل نقول: إنه كان حريصًا على الأمرين معًا.

إن استحضار هذا المقصد العام من النتاج الفكري لفريد وجدي يُغير من رؤيتنا لقضية التمكن من العلوم الشرعية التخصصية، ويضعها في إطارها

---

1) مُحَمَّد فريد وجدي الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي د : مُحَمَّد رجب البيومي صـ ١٣٩(

2) الإسلام في عصر العلم ، مُحَمَّد فريد وجدي جـ١ صـ ١١،ولمزيد من تحليل رؤية فريد وجدي لتحقيق هذه الغاية يراجع : أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث،د: فهمي جدعان ،صـ٤٠٥ ٤٠٩.دار الشروق،ط٣(١٩٨٨م)

3) الفكر العربي في عصر النهضة،ألبرت حوراني ،ترجمة :كريم عزقول صـ ١٩٩،دار النهار ،بيروت ط٣ (١٩٧٧م)

الصحيح، هذا الإطار الذي لخَّصه لنا عباس العقاد بقوله مقارنا بين كلٍّ من الشيخ رشيد رضا وفريد وجدي:

" ولا أزال كلما احتجت إلى بحث مستنير في الفقه والشريعة رجعت إلى كتب السيد رشيد، وكلما احتجت إلى تفسير مثقف لعقدة من العقد الدينية رجعت إلى رأي الأستاذ وجدي فيها، وقد أجد في كليهما معا ما ينفعني في كلا الأمرين." (١)

إن العقاد يلفت انتباهنا إلى ضرورة النظر إلى طبيعة أدوار المفكرين، وموارد الاستفادة من كل منهم.

النقطة الرابعة : بالرغم من قدرة فريد وجدي على مناقشة الفكر المادي مستعينًا على ذلك ببنية تفكيرية تقوم على استيضاح المفاهيم، والتذكير بحتمية تبني النظرة الكلية في الوقوف على الحقائق، وقدرة على التعاطي مع الإشكالات أيًّا كان مصدرها، ثم ملكة نقدية تعددت مساراتها، بالرغم من كل ذلك إلا أن هناك أمرًا رأيناه مسيطرًا على مناقشات فريد وجدي مع ملاحدة الماديين، وهو الأبحاث الغربية في مجال استحضار الأرواح.

لقد ذكر فريد وجدي هذا الأمر في عشرات المواضع من كتبه ومقالاته، وجعله مستندا من مستندات إثبات ما وراء المادة، ومن أمثلة ذلك قوله :

" كانت الفلسفة الحسية فلسفة (أجوست كونت) [٢] وأشياعه القائلين بأن المعقول إذا لم يؤيده شاهد من الحس جاز أن يكون ضلالًا آخذًا من الأفكار

) مجلة المنار، عدد رجب – ١٣٢٥هـ، سبتمبر – ١٩٠٧م،المجلد العاشر ،ص٥٤١ 1(

) (١٧٩٨ -١٨٥٧) رياضي وفيلسوف فرنسي يُعتبر مؤسس auguste conte) أوجست كونت (ِ2(الفلسفة الوضعية التي تُعنى بالظواهر والوقائع اليقينية وحسب وتهمل كل تفكير تحديدي أو ميتافيزيقي. من أشهر آثاره :مباحث في الفلسفة الوضعية (معجم أعلام المورد،منير البعلبكي ج٣ص٣٧٧)(مرجع سابق)

مكانة لا يمكن قلعه منها، وما دامت أسس الدين من عقيدة وجود الروح وخلودها في دار بعد هذه الدار مما لا يمكن الاستدلال عليها بمحسوس جاز أن تكون وَهْمًا لا حقيقة له في الواقع. فهي على حسب أسلوب هذا المذهب الكثير الأشياع من قبيل ما لا يمكن إثباته، وما لا بد من عدم الخوض فيه، وما معنى دين بدون روح وخلود وآخرة فيها نعيم مقيم أو شقاء مستديم؟ كيف الوصول إلى الاعتقاد بدين مهما كانت تعاليمه في عصر هذه فلسفة بنيه وتلك مبادئها؟ ولكن الله سبحانه أكرم من أن يخيب سائلًا، وأرحم من أن يطرد طارقا؛ فأرسل عليهم من جهة فلسفتهم هذه آيات تأخذ بالأعناق خضوعا، وبالأبصار والبصائر دهشة وخشوعا، فنشأت أبحاث سموها (أبنوتزم) و (مانيتزم)

التنويم المغناطيسي و (إسبرتزم) استحضار الأرواح، وغير ذلك استُدل منها عليتهم على أن للإنسان روحا وخلودا، فأنشأوا مئات المجلات والمجامع، وعقدوا لها المؤتمرات والمحافل، وألَّفوا فيها الكتب والرسائل، وبلغ عددهم من العلماء الأعلام، وقادة المعارف العِظام والمحامين البارعين والكتاب المتفننين، ما يزيد عن عشرين مليونًا ."[1]

إن القضية هنا ليست في عرض فريد وجدي خلاصةً لبعض الأبحاث الغربية، بل إن الإشكالية أن فريد وجدي جعل من هذه الأبحاث أكبر مستنداته لهدم التوجه الإلحادي في الفكر الغربي حتى يُخَيَّل للقارئ أنه إذا لم تثبت هذه الأبحاث فلا يمكن هدم هذا التوجه،ومع أن لوجدي مستندات أخرى في مناقشاته العامة كالمستند التاريخي، ومستند العلوم الاجتماعية إلا أن مستند الأبحاث الروحية كان أظهر، ودفاعه عنه كان أكبر، واستعداده لعرض الانتقادات التي وُجِّهت إليه في ذلك الأمر كان أقل.

---

[1]) مجلة المنار ،مقالة بعنوان : كيف يكون المستقبل للمسلمين ،مُحَمَّد فريد وجدي ،المجلد الخامس صـ ٦٥٦1(

ومع أنه قد يكون السبب من وراء ذلك الرغبة الملحة من قِبَل فريد وجدي في هدم التوجه الإلحادي المبني على حصر الموجودات في الإطار المادي إلا أن القارئ لمشروعه الفكري ينبغي أن يكون على وعي بهذا الأمر حتى وإن كان له من العلل ما يبرره.

النقطة الخامسة : بالرغم من أن النتائج العلمية التي كان يقررها فريد وجدي قد غلب عليها مسلك الدقة العلمية إلا أن ذلك لم يمنع من وقوعه في بعض المبالغات التي تظهر للمتأمل في نتاجه الفكري، ومن أمثلة ذلك قوله في مقدمة كتابه(الإسلام في عصر العلم)

" إذا انتهى معنا القارئ إلى هنا تحقق أن الجزء الأول من مؤلفنا هذا لن يدع . إن شاء الله تعالى . شاردةً من شوارد أحوال الإنسان إلا قيَّدها، ولا مدركا من مدركات الفلاسفة والعلماء فيه إلا عقلها، ولا رأيًا من آراء أكثر الفرق المعروفة في كيفية نشوء الإنسان وحياته وخلوده أو فنائه إلا أثبتها...إلخ "[1]

يبدو للمتأمل أن هذا الوعد يصعب الوفاء به على هذا النحو من التعميم الذي ذكره فريد وجدي.

تعقيب عام

إننا بعد ذكر هذه النقاط ينبغي التأكيد على عِظَم البنية التفكيرية لدى الأستاذ محمد فريد وجدي، وتنوع مرتكزاتها مما جعل منه واحدًا من أبرز مفكري القرن العشرين في عالمنا الإسلامي دون ادعاء لعصمة، أو زعم لتقديس.

(1) الإسلام في عصر العلم،محمد فريدوجدي صـ ٢٥

النتائج والتوصيات

أولا : النتائج

١ . تُمَثِّل بنى التفكير العماد الأساسي في النتاج الفكري لأي من المفكرين.

٢ . شكلت الملكات الذاتية لفريد وجدي عاملًا لا يمكن إغفاله من عوامل تكوين بنيته التفكرية.

٣ . صاغ المنهج الفكري في الإسلام العقلية المسلمة فكانت الرافد الأعظم لبنية التفكير لدى فريد وجدي.

٤ . انفتح فريد وجدي انفتاحا منضبطا على جملة المعارف العامة المتاحة له في عصره مما أهَّله ليصوغ منهجية فكرية رصينة.

٥ . تعددت مفردات المسار المفاهيمي الذي انتظمت من خلاله بنية التفكير ما بين بيان لمحورية المفاهيم في البناء الفكري، وحتمية التفريق بين المفاهيم الممتقاربة، والوعي بالسياق الاستعمالي للمفهوم وغيرها من المفردات.

٦ . القدرة على التعاطي مع الإشكاليات من أبرز المسارات التي امتدت فيها بنية التفكير لفريد وجدي،خاصة مع الخصوصية الزمنية التي عاش فيها وجدي.

٧ . كشف فريد وجدي في منهجه النقدي عن العديد من المسارات كنقد مستند الدليل، ووجه الاستدلال ونقد التأويل الخاطئ، ونقد التعميم القاصر وغيرها.

ثانيا : التوصيات

١ . عقد مؤتمر علمي عن العلامة الأستاذ محمد فريد وجدي إحياء لفكره.

٢ . إقامة مزيد من الدراسات حول بنى التفكير لمحوريتها في النتاج الفكري الإنساني

المراجع

- الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية ،محمد فريد وجدي، ملحق بالجزء الثاني من مجلة الأزهرسنة (١٣٥٥هـ)
- أزمة المفاهيم وانحراف التفكير ،عبد الكريم غلاب ،مركز دراسات الوحدة العربية ،سلسلة الثقافة القومية (٣٣) بيروت ط ١(١٩٩٨م)
- أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث،د: فهمي جدعان ،صـ٤٠٥ .٤٠٤٠٩دار الشروق،ط٣(١٩٨٨م)
- الإسلام دين عام خالد،محمد فريد وجدي،مطبعة دائرة معارف القرن العشرين (١٩٣٢م)
- الإسلام في عصر العلم،محمد فريد وجدي،دار النهضة العربية (بدون)
- الإسلام وتحرير الفكر الإنساني،بحوث ودراسات في الدين والحياة ،محمد فريد وجدي،جمعها وراجعها وقدم لها :د: محمد رجب البيومي،الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة ط١(٢٠٠٦م)
- الإسلام، رسالة بقلم مسيو هانوتو وردٌّ عليها ، الإمام محمد عبده ،محمد فريد وجدي، الرسالة مودعة بدار الكتب المصرية (معارف)
- أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي ، دار عالم الكتب.
- تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون،عمر فروخ صـ٧،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،ط٤(١٩٨٣م)
- الحديقة الفكرية في إثبات الله بالبراهين الطبيعية، محمد فريد وجدي، مطبعة الشرقي ، مصر (١٩٠١م)

- الحياة الفكرية في ضوء الفلسفة الإسلامية،د: حسن الفاتح قريب الله، صـ٨٣، مطبعة الأمانة (٢٠٠٣م)
- حياة قلم، عباس محمود العقاد،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (بدون)
- سفير الإسلام إلى سائر الأنام ،محمد فريد وجدي ،مطبعة الواعظ (١٣٢٤هـ)
- السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة ،محمد فريد وجدي ،تقديم: د :محمد رجب البيومي ، الدار المصرية اللبنانية.((١٩٩٣م)
- شرح النووي على مسلم ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط٢(١٣٩٢هـ)
- صفوة العرفان في تفسير القرآن،محمد فريد وجدي، مطبعة الشعب(١٣٢١هـ)
- على أطلال المذهب المادي،محمد فريد وجدي،مطبعة دائرة معارف القرن العشرين (١٩٢١م)
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري،بدر الدين العيني ،دار إحياء التراث العربي بيروت،ط٢(١٣٩٢هـ)
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر .
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ،د: محمد البهي مكتبة وهبه، ط١٠

- الفكر العربي في عصر النهضة،ألبرت حوراني ،ترجمة :كريم عزقول ،دار النهار ،بيروت ط٣ (١٩٧٧م)
- الفلسفة الحقة في بدائع الأكوان،محمد فريد وجدي، الرسالة مودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم(ي ف ٤٢٦٩) بدون بيانات طبع.
- في الرد على الماديين، دراسة نقدية لكتاب حضارة العرب د:جوستاف لوبون، محمد فريد وجدي، تقديم وتذييل د/ محمد عمارة،هدية مجلة الأزهر جمادى الأولى (١٤٣٤هـ)
- كنز العلوم واللغة، محمد فريد وجدي، مطبعة الواعظ بمصر (١٩٠٥م)
- لماذا هو ملحد،مجلة فصول العددان(٨٥،٨٦)، ربيع صيف (٢٠١٣م)
- اللورد كرومر والإسلام ،ردود وملاحظات ،محمد فريد وجدي مجموعة مقالات صدرت تباعًا بمجلة الجستور، وطُبعت بطبعة الواعظ، ط١ (١٣٢٦ هـ. ١٩٠٨م)
- محمد فريد وجدي الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي ،د : محمد رجب البيومي، دار القلم، دمشق ط١(٢٠٠٣م)
- محمد فريد وجدي رائد التوفيق بين الدين والعلم ،أنور الجندي ،مطابع الهيئة العامة للكتاب (١٩٧٣م)
- محمد فريد وجدي، حياته وآثاره،محمد طه الحاجري، معهد البحوث والدراسات العربية (بدون)
- المدنية والإسلام،محمد فريد وجدي ،تقديم ودراسة :معتز شكري ،دار الكاب المصري .دار الكتاب اللبناني ،ضمن سلسلة (في الفكر النهضوي الإسلامي) ،مكتبة الأسكندرية ط١ (٢٠١٢م)
- المرأة المسلمة،محمد فريد وجدي ،مكتبة أضواء السلف، ط١(١٩٩٩م)

- المساجلات والمعارك الأدبية،أنور الجندي،مكتبة الآداب (٢٠٠٨م)
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٩٧٩م)
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط٣ (١٤٢٠هـ)
- مناقشات وردود،محمد فريد وجدي،جمعها وراجعها: د: محمد رجب البيومي، الدار المصرية اللبنانية ط١ (١٤١٥ . ١٩٩٥م)
- مناهج التفكير الموصلة للحقائق الشرعية والكونية،جعفر شيخ إدريس،مركز البيان للبحوث والدراسات إصدار (٢٢١) (١٤٣٧هـ)
- من معالم الإسلام،محمد فريد وجدي، دراسة وتقديم محمد رجب البيومي، مهرجان القرآءة للجميع، مكتبة الأسرة (٢٠٠٠ م)
- المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد،د:عاطف العراقي دار المعارف،صـ ١٨ طـ٢(١٩٨٤م)
- منهج النقد عند المحدثين مقارنًا بالمنهج النقدي الغربي.د: أكرم ضياء العمري، دار إشبيليا، طـ١(١٤١٧ . ١٩٩٧م)
- مهمة الإسلام في العالم،محمد فريد وجدي، تقديم :د: محمد رجب البيومي، دار البصائر(٢٠٠٦م)
- نحو منهجية معرفية قرآنية،محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة،د:طه جابر العلواني، دار الهادي،طـ١(١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)
- نقد كتاب الشعر الجاهلي ،محمد فريد وجدي، تحقيق: حسن نجار محمد، مكتبة الآداب، القاهرة طـ٣ (٢٠٠٨م)

- الوجديات ،مقامات محمد فريد وجدي، حقَّقها وقدَّم لها د:محمد عبد المنعم خفاجي ،د: عبد العزيز شرف، دار الكتاب اللبناني ط١(١٩٨٢م)

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص: ١٣

المقدمة ١٥

خطة البحث ١٨

التمهيد ١٩

محمد فريد وجدي (السيرة وعوامل التكوين) ٢٧

مؤلفاته ٢٨

ثانيا : مكونات بنية التفكير لدى فريد وجدي ٢٩

المطلب الأول : المرتكز المفاهيمي ٣٦

النقطة الثالثة : إيضاح المناط الاستعمالي للمفهوم ٤١

النقطة الرابعة : ملكة التفريق بين المفاهيمم ٤٢

النقطة الخامسة: الوعي بالاختلاف الدلالي للمفهوم في البنى الفكرية المختلفة ٤٤

النقطة السادسة : دلالة الاتساع الاستعمالي للمفهوم ٤٦

النقطة السابعة : بيان خطورة الانحسار الدلالي للمفاهيم(اختزال المفهوم) ٤٦

النقطة السابعة: محورية التثبت في استكناه المفهوم ٤٨

النقطة الثامنة :الاهتمام بالمنحى الوظيفي للمفهوم ٤٩

المطلب الثالث ٥٨

المطلب الرابع ٧٢

(١) تفنيده للفكر المادي ٧٥

(٢) نقده لرسالة اللورد كرومر حول الإسلام ٧٥

(٣) نقده لكتاب (لماذا أنا ملحد) ٧٦

(٤) نقده لكتاب (المرأة الجديدة) ٧٦

(٥) نقده لكتاب الشعر الجاهلي ٧٦
(٦) نقده لأقوال المانعين لترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى ٧٧
(٧) نقده لكتاب حضارة العرب ٧٧
المطلب الخامس ٨٩
النتائج والتوصيات ٩٦
المراجع ٩٧
فهرس الموضوعات ١٠٣